

المنظومة
ALMANDUMAH



الفصـــل الأول

دول بني صالح والبرغواطيين والمدراريين والرستميين

- دولة بني صالح في نكور من (91-471هـ/709-1080م).
- دولة البرغواطيين من (123-451هـ/740-1060م).
- إمامة بني واسول (المدراريين) (140-297هـ / 757-909م).
- الدولة الرستمية الخارجية (137-297هـ/754-909م).

قبل نشوء دولة الرستميين في المغرب الأوسط سنة 161هـ/777م كانت هناك دولاً مستقلة وهي:

- **دولة بني صالح في نكـــــور:**

إن بني صالح هم من نسل صالح بن منصور الذي بنى حفيده سعيد مدينة نكور في شمال المغرب الأوسط، وكان يلقب صالح بن منصور بالعبد الصالح، وكان موسى بن نصير قد منحه مدينة نكور إقطاعاً له، وثبت له الإقطاع الوليد بن عبد الملك(١).

وقد اتخذ صالح بن منصور لقب أمير وحكم نحو ثلاثين سنة (91-123هـ/ 709-740م) وعلى يديه أسلم بربر نكور وهم صنهاجة وغمارة، ثم ارتد أكثرهم، وقدموا على أنفسهم رجلاً يسمى داوود ويعرف بالرندي (وكان من نفزة)، ثم قتلوا داوود، وأرجعوا صالحاً، فبقي إلى أن مات في منطقة بتمسامان(٢).

وقد استمرت هذه الأسرة تحكم هذه الناحية حتى سنة 473هـ/1080م، عندما استولى يوسف بن تاشفين على نكور وخلع آخر أمراء بني صالح، وقد كانت علاقاتهم جيدة مع الأمويين أصحاب الأندلس، وحتى أن الأدارسة لم يبطشوا بهم نظراً لإخلاص قبائل غمارة لهم(٣).

- **دولة برغـــــواطــــــــه :**

في سنة 123-124هـ كانت ابتداء دولة برغواطة(*) ٤) وكان يحكمها متنبئها صالح بن طريف(*) البرغواطي، ابتداءً من سنة 125هـ في خلافة هشام بن عبدالملك بن مروان، وكان صالح قد شهد مع أبيه طريف حروب ميسرة المطغري كبير الصفرية، وكان طريف يكنى أبا صبيح، وهو من كبار أصحاب ميسرة المطغري، ويقال إنه ادعى النبوة أيضاً، ثم توفي سنة 127هـ، وخلفه ابنه صالح(٥).

---

(١) مجهول، الاستبصار، ص197؛ مؤنس، تاريخ المغرب، م1، ص237.

(٢) مؤنس، تاريخ المغرب، م1، ص237.

(٣) المرجع نفسه، م1، ص237.

(*) برغواطة: وهي إحدى قبائل البربر الكبيرة، وقد استمرت دولتهم أربعة قرون من 123هـ - 451هـ ، وقد اختلف الناس في نسب برغواطة فبعضهم يلحقه بزناته، وبعضهم يقول أن متنبئهم صالح بن طريف، أنه يهودي الأصيل من سبط شمعونه بن يعقوب (عليه السلام) نشأ برباط _ حصن من عمل شدونه من بلاد الأندلس_ ثم رحل إلى المشرق وقرأ وتعلم على يد عبيد الله المعتزلي. أنظر: الناصريّ، الاستقصا،ج 2 ص14؛ وانظر: مؤنس، تاريخ المغرب، ص222.

(*) صالح بن طريف: يقال أنه يهودي الأصل من سبط شمعون بن يعقوب (عليه السلام)، نشأ برباط حصن من بلاد شدونه من بلاد الأندلس، ثم رحل إلى المشرق، وقرأ وتعلم على يدي عبدالله المعتزلي. وقد اشتغل بالسحر وجمع منه فنوناً وقدم المغرب فنزل بلاد تامسنا فوجد فيها قبائل جهالاً من البربر، فأظهر لهم الصلاح والرشد، وخلبهم بلسانه وسحرهم بنير نجاته فصدقوه واتبعوه فادعى النبوة وشرع لهم شرائع ووضع لهم قرآناً. فكان يقال لمن تبعه ودخل في دينه برباطي ثم عربته العرب فقالوا برغواطي فسمّوا برغواطة. أنظر: الناصريّ، الاستقصا، ج2، ص15.

(٥) الناصريّ، الاستقصا، ج2، ص15؛ مؤنس، تاريخ المغرب، ج1، ص374.

وكان صالح بن طريف قد خرج إلى المشرق سنة 174هـ، بعد أن حكم برغواطة سبعاً وأربعين سنة، وقد وعد البرغواطيين أن يرجع إليهم في صورة المهدي المنتظر، أو بدولة السابع من ملوكهم، وكان قد أوصى بشريعته إلى ابنه إلياس بن صالح[١].

وكان صالح بن طريف قد أمر ابنه إلياس ألا يظهر ديانته حتى يظهر أمره، وينتشر خبره، ويقتل من خالفه، وأمره بموالاة أمير المؤمنين في الأندلس[٢].

وقد تولى ابنه إلياس الحكم خمسين سنة، حيث كتم شريعته إلى سنة 173هـ[٣]، وكان إلياس يظهر الإسلام، ومتظاهراً بالعفاف والزهد، ولكنه كان يخفي شريعته حسب وصية والده[٤].

وبعد إلياس بن صالح بن طريف تولى حكم البرغواطيين يونس بن إلياس، وكان إلياس قد أظهر دينهم ودعا إلى كفر البرغواطيين، وقتل كل من لم يطعه، وحرق مدائن تامسنا، ويقال إنه حرق ثلاثمائة وثمانين مدينة[٥].

ثم رحل يونس بن إلياس إلى المشرق، وقام بأداء فريضة الحج، التي لم يفعلها أحد من قبله ولا من بعده، وتوفي سنة 286هـ، حيث حكم البرغواطيين مدة أربع وأربعين سنة[٦].

وقد تولى الحكم بعد يونس بن إلياس أبو غفير محمد بن معاذ بن إليسع بن صالح بن طريف، حيث استولى على ملك برغواطة، واشتدت شوكته، وتوفي سنة 329هـ[٧].

وتولى بعد أبي غفير ابنه أبو الأنصار عبدالله بن أبي غفير، حيث سار على نصيحة والده في المحافظة على ديانة وشريعة برغواطة وتوفي سنة 341هـ[٨].

وتولى الحكم بعده أبو منصور عيسى بن أبي الأنصار، وهو ابن اثنتين وعشرين سنة، فسار على منهج آبائه وادّعى النبوة، واشتد أمره، وعلا سلطانه، ودخلت تحت حكمه وسيطرته قبائل المغرب، وكان جيشه يفوق الثلاثة آلاف من برغواطة، وعشرة آلاف من القبائل الأخرى[٩].

وتوفي أبو منصور عيسى بن أبي الأنصار 369هـ على يد بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي الذي زحف إلى المغرب، وأخضع قبائل زناتة الذين هربوا إلى سبتة، إذ قام بقتال برغواطة[١٠].

وكانت بداية النهاية لدولة برغواطه على يد زعيم المرابطين عبدالله بن ياسين الجزولي، إذ سار في جيوش المرابطين، وكان أمير برغواطه آنذاك هو أبو حفص عبدالله من ذرية أبي

---

(١) الناصريّ، الاستقصا، ج2، ص15؛ ابن عذاري، البيان، ج1، ص57.
(٢) ابن عذاري، البيان، ج1، ص57.
(٣) ابن عذاري، البيان، ج1، ص57.
(٤) الناصريّ، الاستقصا، ج2، ص16.
(٥) المصدر نفسه، ج2، ص16.
(٦) المصدر نفسه، ج2، ص16.
(٧) الناصريّ، الاستقصا، ج2، ص16.
(٨) الناصريّ، الاستقصا، ج2، ص17.
(٩) المصدر نفسه، ج2، ص17.
(١٠) المصدر نفسه، ج2، ص17-18.

منصور عيسى بن أبي الأنصار عبدالله بن أبي غفير محمد بن معاذ بن إليسع بن صالح بن طريف(١).

وقد تولى الأمن بعد عبدالله ين ياسين المرابطي أبو بكر بن عمر، حيث جددت له البيعة، وقد زحف إلى البرغواطيين، وصمم على حربهم، وقتل منهم الكثير، وسبى منهم حتى هربوا وتفرقوا في البلاد، وقد أسلم الباقون منهم، وقام أبو بكر بن عمر بمحو دعوتهم من المغرب وجمع غنائمهم، وقسمها بين المرابطين(٢).

وكان حدود دولة برغواطة كل ريف تامسنا، ومعظم حوض سبو، وكان أهم فروع برغواطة زواغة، ومطماطة، وبنو يورغ، وبنو معمر، وهذه المجموعة البرغواطية المصمودية كانت منازلها تمتد شمالاً حتى منطقة أحفى(٣).

وهكذا نرى أن دولة برغواطة قد قامت ما يقارب أربعة قرون، وتحت أنظار الدولة العباسية، بعيد قيامها سنة 132هـ وانهيار الدولة الأموية.

ولكن الغالب أن أهل السنة (الدولة العباسية) قد قاموا بتشويه صورة طريف مؤسس دولة برغواطة وأولاده، والمبالغة في تصوير خروجهم عن الإسلام؛ لكي ينفروا الناس منه ومن حركته، ويبعثوا في نفوسهم الحماس لمحاربتهم.

- **إمامة بني واسول (المدراريين) (140-297هـ / 757-909م):**

شهدت افريقية قبل قيام دولة الأغالبة سنة 184هـ/799م وبعده ثورات متعددة، وكان الهدف منها القضاء على السلطة العربية، وقيام دولة البربر المسلمين(٤).

فالعرب في المشرق الإسلامي الذين أنفوا حكم الأمويين من خوارج وغيرهم كانوا لا يجدون متنفساً لثورتهم إلا بالالتحاق بالبربر لتنفيذ أهدافهم، وذلك بالانقضاض على السلطة التي تنازعتها العصبيات، لذلك نمت بينهم الدعوة الخارجية صفرية (*)، وأباضية(*) إلى أن

(١) الناصريّ، الاستقصا، ج2، ص18-19.

(٢) المصدر نفسه، ج2، ص19.

(٣) مؤنس، تاريخ المغرب، م1، ص375.

(٤) أبو العرب، طبقات، ص7-8.

(*) الصفرية: هم أتباع زياد بن الأصفر، ويقال هم قوم نهكتهم العبادة فاصفرت وجوههم، ويتصفوا بالاعتدال والمسالمة والبعد عن التطرف في الأحكام، فلم يكفروا القاعدين عن القتال، ولم يسقطوا الرجم ولم يحكموا بقتل أطفال المشركين وتكفيرهم وتخليدهم في النار. لمزيد من التفاصيل، أنظر: أبو زكريا، يحيى بن أبي عمر، سير الأئمة وأخبارهم، تح إسماعيل العربي، بيروت، لبنان، 1982م، وسيشار إليه فيما بعد: أبو زكريا، سير؛ ص 25-26؛ الدرجيني، أبا العباس، أحمد بن سعيد، طبقات المشايخ في المغرب، تح إبراهيم كلامي، (د.ط) الجزائر، 1974م، وسيشار إليه فيما: طبقات؛ الشماخي، أحمد بن سعيد بن عبد الواحد، كتاب السير، تح أحمد بن سعيد السيابي، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، عُمان، 1407هـ/1987م، وسيشار إليه فيما بعد: الشماخي، السير؛ وانظر: التميمي، أيمن خالد سليمان، السجون في العصر العباسي، (132-334هـ/750945م)، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف: أ.د محمد خريسات، الجامعة الأردنية، عمان، 1997م.

(*) الأباضية: نسبة إلى عبدالله بن إباض. حيث لعب دعاة المذهب الأباضي في عُمان والمغرب دوراً حاسماً في ترسيخ جذور المذهب الأباضي. لمزيد من التفاصيل، أنظر: ابن الصغير، المالكيّ، أخبار الأئمة الرستميين، تح محمد ناصر وإبراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986م؛ الدرجيني، طبقات، ج1، ص19؛ الشماخي، السير، ص113.

قاموا بتكوين دولة بني زيري في القرن الخامس الهجري، فلقد قام البربر الصفرية بثورة قادها ميسرة المدغري سنة 122هـ/739م للاستقلال عن الحكم الأموي(١).

ومن بعد ميسرة المطغري قام شخص آخر بالثورة واسمه عكاشة الصفري سنة 124هـ/741م،لكن ثورته هزمت على يد حنظلة بن صفوان، ثم خرج عبد الرحمن بن حبيب الفهري الذي ادعى الولاية لنفسه، فانضم إلى البربر، إذ تغلبوا على القيروان سنة 129هـ/746م، واضطر حنظلة إلى الرحيل(٢).

وفي سنة 129هـ/746م استولى عبد الرحمن بن حبيب الفهري على القيروان (٣) وعندما ولي عبد الرحمن بن حبيب ثار عليه بعض العرب ومن تلك الثورات ثورة عروة بن الوليد الصدفي الذي استولى على تونس وثورة عرب الساحل، وثورة البربر في الجبال، وثورة ثابت الصنهاجي بباجة(*) الذي استولى عليها، وثورة أخرى في طرابلس، الأمر الذي أدى إلى الفوضى، والإرباك، والقلق بين أهل المغرب(٤).

وفي عام 132هـ/748م سقطت الدولة الأموية بمقتل مروان بن محمد، وقامت الدولة العباسية على أنقاضها، إذ أعلن عبد الرحمن بن حبيب الولاء والطاعة للخلافة العباسية، وأقام الدعوة العباسية(٥).

ولما تولى أبو جعفر المنصور الخلافة بعد أن توفي أبو العباس السفاح سنة 136هـ/752م كتب إلى عبد الرحمن بن حبيب يدعوه إلى الطاعة، إذ أعلن عبد الرحمن ابن حبيب الطاعة والولاء للخلافة العباسية، وأرسل بهدية إلى الخليفة وكتب إليه: (ان افريقية اليوم إسلامية كلها، وقد انقطع السبي منها والمال، فلا تطلب المال مني)(٦).

وكان كتاب عبد الرحمن بن حبيب إلى أبي جعفر المنصور قد أغضب الخليفة العباسي المنصور، وكان رد عبد الرحمن بن حبيب أن خطب بالناس في المسجد إذ سبّ أبا جعفر المنصور وقال: (إني ظننت أن هذا الخائن) وفي نهاية الأرب للنويري (الخائر) يدعو إلى الحق والعدل، ويقوم به حتى تبين لي خلاف ذلك من إقامة الحق والعدل.

وقد قام عبد الرحمن بن حبيب بخلع الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور إذ قال في خطبته أمام الناس: (وأنا الآن قد خلعته كما خلعت نعليَّ هاتين) وقذفهما وهو على المنبر، وأمر بخلع أبي جعفر المنصور، وعدم إطاعته، وأمر بتخزيق وخرق سواده، وهو أول سواد ليسى في افريقية)(٧).

---

(١) أبو العرب، طبقات، ص 7-8.

(٢) أبو العرب، طبقات، ، ص 7-8.

(٣) النويريّ، ج24، ص34.

(*) باجة: مدينة في افريقية تعرف بباجة القمح، لكثرة حنطتها، وهي كثيرة الأنهار، وهي على جبل يقال له عين شمس، وفيها عيون الماء العذب ومن تلك العيون عين يقال له عين شمس. لمزيد من التفاصيل أنظر: ياقوت، معجم البلدان، ج1، ص314، 315،316.

(٤) النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص34-35.

(٥) المصدر نفسه، ج24، ص35.

(٦) ابن عذاري، البيان، ج1، ص67؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج24،ص35.

(٧) ابن عذاري، البيان، ج 1، ص67؛ الناصريّ، الاستقصا، ج 1، ص119؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج 24، ص35.

وأمر عبد الرحمن بن حبيب كاتبه خالد بن ربيعة أن يكتب كتاباً بخلعه، ويقرأ على المنابر في سائر بلاد المغرب[١]، وفي سنة 137هـ/753م قتل عبد الرحمن بن حبيب على يد أخيه إلياس بن حبيب حيث استغل إلياس غضب أبي جعفر المنصور، إذ قام بخلع الإمرة من أخيه عبدالرحمن بن حبيب، وعلى الفور وبعد مقتل عبد الرحمن بن حبيب أعاد إلياس بن حبيب الدعوة والطاعة والولاء للخلافة العباسية[٢].

وبعد مقتل عبد الرحمن بن حبيب فرّ ابنه حبيب إلى تونس، رغم كل المحاولات للإمساك به، وكان عمّه عمران بن حبيب والياً على تونس من قبل أخيه عبد الرحمن بن حبيب، وحدثت معركة بينهما بعد أن اتفق حبيب بن عبد الرحمن وعمه عمران على محاربة عمه إلياس، وعبد الوارث بن حبيب، واقتتلوا سنة 137هـ/753م وفي سنة 138هـ/754م عقد صلح بينهما على أن يكون لحبيب بن عبد الرحمن مناطق قفصة، ونفزة، وقسطيلية، ويكون لعمران بن حبيب تونس، وصطفورة، والجزيرة، وتكون سائر افريقية لإياس بن حبيب[٣].

إلا أن إلياس بن حبيب غدر بأخيه عمران فقتله، وقام باسترجاع تونس، وقيل غرّبه إلى الأندلس، وعاد هو إلى القيروان، فأرسل إلى الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور يعلن له الطاعة والولاء، وبذلك خلص المغرب كله له[٤].

إن مقتل عمران بن حبيب أدى إلى استياء وغضب حبيب بن عبد الرحمن ما جعل حبيباً يصمم على مقتل عمه الياس، وفعلاً تم له ذلك سنة 138هـ/754م، إذ كانت ولاية إلياس على افريقية نحو سنة وستة أشهر[٥].

وكان اخوة الياس بن حبيب قد لاذوا بقبيلة ورفجومة البربرية (وهم بطن من بطون نفزه)، وهم من غلاة الصفرية، وقد نزلوا في كنف الأمير عاصم بن جميل أمير قبيلة ورفجومة إذ قام بتوفير الحماية، والنصرة لهم[٦].

ونتيجة لذلك حدثت معركة بين حبيب بن عبد الرحمن وعاصم بن جميل، انهزم على أثرها حبيب[٧].

وبعد ذلك، حدثت معركة بين حبيب بن عبد الرحمن ووالي عاصم بن جميل على القيروان عبدالملك بن أبي الجعد اليفرني بعد أن قتل حبيب عاصم، إذ قتل حبيب بن عبد الرحمن سنة 140هـ/، وقد بلغت ولايته عشرين سنة وبضعة أشهر[٨].

---

(١) ابن عذاري، البيان، ج 1، ص67؛ الناصريّ، الاستقصا، ج 1، ص119؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج 24، ص35.

(٢) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص119؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص35.

(٣) الرقيق القيرواني، تاريخ افريقية، ص 140؛ ابن عذاري، البيان، ج 1، ص69؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص120؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص37؛ وانظر: سالم، تاريخ المغرب، ص248-249.

(٤) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص120.

(٥) ابن عذاري، البيان، ج 1، ص70؛ الناصريّ، الاستقصا، ج 1، ص121؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج 24، ص37؛ وانظر: سالم، تاريخ المغرب، ص251.

(٦) ابن عذاري، البيان، ج 1، ص70؛ الناصريّ، الاستقصا، ج 1، ص121؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج 24، ص37؛ وانظر: سالم، تاريخ المغرب، ص251.

(٧) ابن عذاري، البيان، ج1، ص70؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص37؛ وانظر: سالم، تاريخ المغرب، ص251.

(٨) ابن عذاري، البيان، ج 1، ص70؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج 24، ص37-38؛ وانظر: سالم، تاريخ المغرب، ص251.

وكانت قبيلة ورفجومة البربرية قد سيطرت على افريقية بعد مقتل حبيب وعاصم بن جميل إذ دخلوا القيروان، وقتلوا كل من كان فيها من قريش، وسامت من بقي منهم سوء العذاب، ثم قام بعد ذلك أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمج المعافري، وكان ثائراً من طرابلس وأراد قتال قبيلة ورفجومة إذ انتصر عليهم، ثم رجع إلى القيروان[١].

وقد ولي أبو الخطاب عبدالأعلى بن السمح عبد الرحمن على القيروان، ثم مضى إلى طرابلس، إذ صارت طرابلس وافريقية كلها في يده، إلى أن وجه أبو جعفر المنصور سنة 144هـ محمد بن الأشعث لمحاربتهم، وتخليص افريقية منهم[٢].

ونتيجة لذلك فقد حدثت معركة كبيرة بين أبي الخطاب وأصحابه وقوات محمد بن الأشعث في منطقة تاورغا إلى الشرق من طرابلس ومسراته، وكانت نتيجة المعركة أن قتل أبو الخطاب، وانهزم البربر، وكان ذلك سنة 144هـ/760م[٣].

وهكذا أصبحت افريقية والمغرب بعد انقراض دولة بني حبيب الفهري في قبضة وسيطرة الخوارج الأباضية، والصفرية.

نشأت دولة بني مدرار ملوك سجلماسة في خضم الاضطرابات التي حصلت في المغرب في فترة الحروب بين أبي الخطاب وعبد الملك بن أبي الجعد اليفرني، إذ اجتمعت الخوارج الصغرية من مكناسة في المغرب الأقصى، فنقضوا طاعة العرب، وولّوا عليهم عيسى بن يزيد بن الأسود من موالي العرب ورؤوس الخوارج[٤].

وقام الخوارج الصفرية، واختطوا مدينة سجلماسة سنة 140هـ/756م، وقد أصبح عيسى بن يزيد بن الأسود أميراً على الخوارج الصفرية نحو خمسة عشر سنة، وكان له شأن بين الخوارج الذين بنوا مدينة سجلماسة[٥].

وبعد خمس عشرة سنة خلع الصفرية طاعة عيسى بن يزيد، وقتلوه، وبايعوا شخصاً آخر اسمه أبو القاسم سمفون بن سمكو بن واسول بن مصلان المكناسي جد المدراريين[٦].

وكان أبو القاسم سمغون بن سمكو بن واسول أباضياً صفريا، وكان يعلن طاعته وولاءه للدولة العباسية، إذ كان يخطب في عمله لأبي جعفر المنصور والمهدي.

---

(١) الرقيق القيرواني، تاريخ افريقية، ص 141؛ ابن عذاري، البيان، ج 1، ص71؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص38؛ وانظر: سالم، تاريخ المغرب، ص253.

(٢) الرقيق القيرواني، تاريخ افريقية، ص 142؛ ابن عذاري، البيان، ج 1، ص71؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص39.

(٣) ابن عذاري، البيان، ج1، ص72؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص40؛ وانظر: سالم، تاريخ المغرب، ص255.

(٤) البكريّ، ج1، ص835؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص124.

(٥) البكريّ، المسالك، ج 2، ص 835؛ ابن عذاري، البيان، ج 1، ص 71؛ الناصريّ، الاستقصا، ج 1، ص124.

(٦) وكان والد أبي القاسم سمكو بن واسول قد أدرك التابعين إذ ارتحل إلى المدينة ليتحقق من طلبة العلم، وأخذ العلم عن عكرمة مولى بن عباس، وكان أباضياً صفرياً. أنظر: البكريّ، المسالك، ج 2، ص838؛ الناصريّ، الاستقصا، ج124؛ مجهول، الاستبصار، ص201؛ ابن الأثير، ج5، ص39.

وقد توفي أبو القاسم سمغون بن سمكو سنة 167هـ/783م[١] وعندما توفي أبو القاسم سمغون بن سمكو ولّي بنو مدرار عليهم ابنه إلياس، وكان يدعى أبا الوزير، ثم خلعوه سنة 174هـ/791م[٢]، وبعد خلع إلياس بن أبي القاسم ولوا مكانه أخاه إليسع بن أبي القاسم بسمغون، وكان يكنى بأبي المنصور – وكان صفرياً – وفي عهده استفحل ملك بني مدرار في سجلماسة، وهو الذي بنى سور سجلماسة، واختط بها المصانع والقصور[٣].

وكان إليسع بن أبي القاسم جباراً فظاً غليظاً، وقد أخضع إليسع قبائل البربر المجاورة بسجلماسة، وقهرهم، وأخذ خمس معادن منطقة درعه، وقد توفي سنة 208هـ/ 823م[٤]، ويعتبر إليسع بن أبي القاسم هو المؤسس الحقيقي لدولة المدراريين، وتولى الأمر من بعده ابن مدرار.

ولمدرار ولدان اسم كل واحد منهما ميمون، أحدهما من أروى بنت عبد الرحمن بن رستم وصاحب تاهرت، ومؤسس الدولة الرستمية، والآخر لامرأة بغي، وكان يعرف ــ بالأمير ــ وجرى بينهما صراع وحروب، وقد استمرت الحروب بينهما مدة ثلاث سنوات، وكان أبوهما مدرار قد توفي سنة 253هـ/867م[٥].

وتولى الأمر من بعده الأمير ميمون بن مدرار (بن الرستمية)، وكان أباضياً، ولم يطل عهده فقد توفي سنة 570هـ/883م[٦].

وكان ميمون بن الرستمية قد استبد بالحكم، واساءة السيره في عهد والده، فخلعوه، وأعادوا مدرار للحكم، ثم أراد مدرار باعادة ابن ميمون ابن الرستمية فخلعوه، ونصبوا بعد ذلك ابنه ميمون بن التقيه (البغي)، وكان يعرف بالأمير، إذ ظل قائماً بالإمارة حتى توفي في سنة 263هـ/876م[٧].

وكان سجلماسة في عهد مدرار ذات نماء، وتطور، وازدهار[٨].

وقد تولى الأمر من بعد ميمون بن مدرار، محمد بن ميمون بن مدرار وكان أباضياً، ولم يطل عهده، إذ توفي سنة 270هـ[٩].

---

(١) البكريّ، المسالك، ج 1، ص838؛ الناصريّ، الاستقصا، ج 1، ص125؛ ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد المغربي، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مطبعة بولاق، القاهرة، 1965م. وسيشار إليه فيما بعد: ابن خلدون، العبر. العبر، ج 6، ص130؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص412.

(٢) البكريّ، المسالك، ج 2، ص838؛ الناصريّ، الاستقصا، ج 1، ص125؛ ؛ ابن خلدون، العبر، ج 6، ص130؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص412.

(٣) البكريّ، المسالك، ج2، ص838؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص125؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص412.

(٤)البكريّ، المسالك، ج 2، ص 838؛ ابن عذاري، البيان، ج 1، ص 157؛ الناصريّ، الاستقصا، ج 1، ص125.

(٥) البكريّ، المسالك، ج2، ص839؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص125.

(٦) البكريّ، المسالك، ج2، ص839؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص125.

(٧) البكريّ، المسالك، ج2، ص839؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص125.

(٨) ابن عذاري، البيان، ج1، ص157.

(٩) البكريّ، المسالك، ج 2، ص 839؛ ابن عذاري، البيان، ج 1، ص 157؛الناصريّ، الاستقصا، ج 1، ص125.

وتولى الأمر بعده عمه إليسع بن مدرار سنة 570هـ، الذي تلقب بالمنتصر، وهو الذي سجن عبيد الله المهديّ بسجلماسة وابنه أبا القاسم، عندما عرف عنه أنه هو الذي قام بدعوة الفاطميين، إلى أن زحف اليه أبو عبدالله الشيعيّ، وتغلب عليه، وقتله، ودخل سجلماسة سنة 296هـ، وخلص المهديّ وابنه أبا القاسم، وأقام على سجلماسة إبراهيم بن غالب المزابي من رجال كتامة[١].

وكان الخليفة المعتضد بالله العباسي[*] قد أوعز إلى إليسع بن مدرار هذا بالقبض على عبيد الله المهدي وابنه، فبحث عنهما، وأودعهما السجن إلى أن أطلق سراحهما كما ذكرنا أبو عبدالله الشيعيّ سنة 296هـ، حيث قبض على إليسع بن مدرار، وقتله[٢].

وقد بايع أهل سجلماسة من بعده الفتح بن ميمون الأمير _ وكان أباضياً _ وكان يلقب بالرسول وذلك سنة 298هـ، وظل الفتح يقوم بأمر سجلماسة إلى أن توفي في رجب سنة 300هـ[٣].

وانتقل حكم دولة المدراريين من بعده لأخيه أحمد بن ميمون الأمير، وبقي يحكم حتى زحف مصالة بن حبوس الكتامي قائد الشيعة العبيديين حتى حاصر سجلماسة، وافتتحها عنوة سنة 309هـ[٤].

وقد ولّي مصالة بن حباسة أمر سجلماسة إلى المعتز بن محمد بن سارو بن مدرار حتى توفي سنة 331هـ[٥].

وتولى أمر سجلماسة بعد المعتز ابنه أبو المنتصر سمغو بن محمد وكان مدة ولايته ثلاث عشر سنة إلى أن قام ابن عمه محمد بن الفتح بن الأمير بمحاربته، وانتصر عليه، وأخرجه من سجلماسه[٦].

وكان محمد بن الفتح (الشاكر لله) سنياً على المذهب المالكيّ، حسن السيرة، عادلاً، وكان قد سك على الدراهم اسمه، وسميت بالدراهم الشاكرية، وقد تسمى بأمير المؤمنين سنة 342هـ، إذ خرج من سجلماسة بعد أن اقتربت جيوش أبي تميم معد مع جوهر الكاتب ــ قائد المعز الفاطميّ ــ في جموع صنهاجة وكتامه إلى المغرب الأقصى سنة 347هـ،

---

(١) البكريّ، المسالك، ج 2، ص 839؛ ابن عذاري، البيان، ج 1، ص 157؛ الناصريّ، الاستقصا، ج 1، ص125؛ عماد الدين إدريس، ابن الحسن بن عبدالله الأنف، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب، تح محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985م، ص 152-153. وسيشار إليه فيما بعد: عماد الدين إدريس، تاريخ الخلفاء.

(*) المعتضد بالله: أحمد أبو العباس ابن ولي العهد الموفق طلحة بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد، ولد في ذي القعدة سنة 242هـ وقيل 243هـ وأمه اسمها صواب وقيل حرز وقيل ضرار، بويع له بالخلافة في رجب سنة 279هـ بعد عمه المعتمد، كان شجاعاً مهيباً، وافر العقل، وأيامه أيام أمن ورخاء لقب بالسفاح الثاني. أنظر: السيوطي، الحافظ جلال الدين، عبد الرحمن، تقديم عبدالله مسعود، دار القلم، حلب 1991م، ص 341-342.

(٢) البكريّ، المسالك، ج 2، ص 839؛ ابن عذاري، البيان، ج 1، ص 157؛ الناصريّ، الاستقصا، ج 1، ص126.

(٣) البكريّ، المسالك، ج2، ص839؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص126.

(٤) البكريّ، المسالك، ج2، ص839؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص126.

(٥) البكريّ، المسالك، ج2، ص839؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص126.

(٦) البكريّ، المسالك، ج2، ص839؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص126.

فسيطر على سجلماسة، وفر محمد بن الفتح إلى حصن تسكرات (على بعد اثني عشر ميلاً من سجلماسة)[١].

وقد قبض على محمد بن الفتح بينما كان يحاول دخول سجلماسة متخفياً، وقد أسر، وأخذ إلى الخليفة العباسي المهدي وتوفي سنة 354هـ/965م في سجن رقادة[٢].

وقد انقرضت دولة بني مدرار سنة 366هـ، عندما قتل أبو محمد المعتز على يد حزرون بن فلول الزناتي، إذ استولى على سجلماسة[٣].

وهكذا طويت صفحة التاريخ السياسي لمدينة سجلماسة في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي.

- **المبادئ التي نادوا بهـــا :**

ينتسب الصفرية إلى زياد بن الأصفر أحد قادة الخوارج في المشرق _ وقد سمّوا بهذا الإسم لأنهم قوم أنهكتهم العبادة فاصفرّت وجوههم _ ويقفون موقفاً متوسطاً بين الأزارقة وهم غلاة الخوارج الذي كفروا ما سواهم من المسلمين، والأباضية الذين لم يكفروا ما سواهم من المسلمين[٤].

ويذهب الخوارج الصفرية إلى عدم تكفير القاعدين عن القتال، ويفرقون بين الكبائر التي تؤدي بعضها إلى الكفر[٥].

والصفرية أكثر فرق الخوارج تسامحاً واعتدالاً مع مخالفيهم لمذهبهم إذا ما قورنوا بفرق الأزارقة في المشرق وفرقة الحرورية، فالصفرية والأباضية لا يرون إباحة دماء المسلمين ولا يرون جواز سبي النساء والذرية، بل لا يرون قتال أحد سوى جيش السلطان[٦].
والإمامة عندهم حق لأي مسلم أهل لها، عربياً كان أم غير عربي[٧].

---

(١) البكريّ، المسالك، ج2، ص840؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص126.

(٢) البكريّ، المسالك، ج2، ص840؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص126.

(٣) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص127.

(٤) المبرد، الإمام أبي العباس، أخبار الخوارج (من كتاب الكامل في اللغة والأدب والنحو والتصريف) دار الفكر، بيروت، (د.ت)، ص78. وسيشار إليه فيما بعد: المبرد، أخبار الخوارج.

(٥) المصدر نفسه، ص78.

(٦) العبادي، أحمد مختار، في التاريخ العباسي والفاطمي، دار النهضة العربية، بيروت، (د.ت)، ص227.

(٧) كحيلة، ص60.

▪ موقف الدولة العباسية من المدراريـــــن:

قامت دولة بني مدرار رسمياً سنة 140هـ/757م عندما اختطوا مدينة سجلماسة العاصمة السياسية لدولتهم، إذ كانت هذه المدينة إذ ذاك تحت ظل الخلافة العباسية وقد أسسها أبو القاسم سمغون بن سمكو بن واسول المكناسي الزناتي حتى يكون مركزاً لإمامته(١).

إن صفرية مكناسة عندما بايعوا عيسى بن يزيد الأسود من موالي العرب أقاموه أميراً عليهم لمدة خمس عشرة سنة، ثم خلعوه، وولوا عليهم أبا القاسم سمغون بن سمكو بن واسول، وكان سمغون بن سمكو على ولاء وطاعة للدولة العباسية، حيث كان يخطب للخليفة العباسي أبي جعفر المنصور، ثم لابنه المهدي(٢).

ومن بعد أبي القاسم سمغو بن سمكو تولى الإمامة ابنه ابن الياس بن أبي القاسم (الملقب بأبي الوزير) الذي سار على خطا والده في الدعوة والولاء والطاعة للخلافة العباسية(٣).

وفي سنة 174هـ خلع إلياس بن أبي القاسم، وتولى أخوه إليسع وكنيته (أبو منصور) ــ وكان صفرياً ــ في عهده استفحل سلطان بني مدرار في سجلماسة، وكان أبو منصور موالياً وكاتباً للخلافة العباسية كأسلافه(٤).

وفي سنة 208هـ تولى الحكم ابن الياس واسمه مدرار، ولقبه (أبو المنتصر)، وكان مدرار على علاقة بالدولة الرستمية(٥).

والمعلوم لدينا أن الدولة الرستمية كانت على عداء دائم مع الدولة العباسية مذهبياً وسياسياً.

وكانت الدولة العباسية تقف موقف المتفرج، عندما حصل صراع بين أبناء مدرار ميمون ابن أروى الرستمية وميمون بن التقية (البغي)، الملقب بالأمير إذ دام هذا الصراع ثلاث سنوات، اعتنق أهل مواطن سجلماسة من مكناسة الإسلام على المذهب الصفريّ، ثم انتزوا مع المنتزين على الدولة الأموية على إثر قيام ميسرة المدغري بفتنة، وكان من زعماء الصفرية في هذه النواحي عيسى ابن يزيد الأسود المكناسي الصفريّ، وكان صاحب ماشية في جنوب بلاد المغرب، وكان يقيم بها في أرض سجلماسة ويتردد عليها(٦).

وكان عيسى قد نزل في أرض سجلماسة سنة 138هـ، بخيامه وماله، واجتمعت الناس حوله من قبائل زناتة، وكان عدوهم يزيد على أربعة آلاف حيث سكنوا معه(٧).

---

(١) البكريّ، المسالك، ج2، ص837؛ مجهول، الاستبصار، ص201؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص124.

(٢) البكريّ، المسالك، ج2، ص837؛ مجهول، الاستبصار، ص201؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص124.

(٣) البكريّ، المسالك، ج2، ص838؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص125.

(٤) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص155.

(٥) البكريّ، المسالك، ج2، ص838؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص125.

(٦) ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبدالله محمد التلمساني الغرناطي، أعمال الأعلام (تاريخ المغرب العربي)، تح: مصطفى أبو ضيف أحمد، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1985م، ص138–139. وسيشار إليه فيما بعد: ابن الخطيب أعمال الأعلا (تاريخ المغرب)؛ وانظر: سالم، تاريخ المغرب، ص583.

(٧) ابن الخطيب، أعمال الأعلام (تاريخ المغرب)، ص 138–139؛ ابن خلدون، العبر ج 6، ص 130؛ وانظر: سالم، تاريخ المغرب، ص583.

وكان كبير قبائل زناتة أبو القاسم سمغون بن واسول المكناسي الزناتي قد بايع عيسى بن يزيد(١).

وكان كبير قبائل زناتة، ويبدوا أن ذلك كان رائقاً للدولة العباسية خاصة وأن ميمون بن مدرار ابن الرستمية كان أخواله من بني رستم الذين كانوا على عداء مذهبي وسياسي مع الدولة العباسية(٢).

وكان الخليفة العباسي المعتضد بالله قد أوعز إلى إليسع بن محمد (المنتصر) هذا بالقبض على عبدالله المهدي وابنه أبي القاسم مؤسسي الدعوة الشيعيّة في المغرب وقد بحث عنهما إليسع، وقبض عليهما، وأودعهما السجن، وذلك سنة 296هـ(٣).

وعندما نزل عبدالله المهدي سجلماسة تحدث الناس أن هذا الرجل له شأن من الشأن، ووقع له في قلب كل من رآه الهيبة والجلالة، وقيل لليسع بن المنتصر بن مدرار: (أنه قد دخل بلدك رجل جليل من كبار تجار الشرق)، ووصف له، ولهج الناس بذكره، وقد أكرمه إليسع بن مدرار، وكان عبيدالله المهدي قد أخبر إليسع بنسبه، وقال: (أنا من أولاد الحسن بن علي)، وكتم أمره(٤).

وأقام عبيدالله في سجلماسة وكتب دعاته تصل إليه، وأبو عبدالله الشيعيّ يعلمه بما يهيئ الله إليه من النصر على الأعداء (العباسيين) وعلو الأمر للأولياء، وعندما فضح أمره وعلم الخليفة العباسي بذلك أوعز إلى إليسع بإيداعه السجن وابنه أبي القاسم(٥).
من ذلك نرى أن الدولة العباسية كانت على اتصال دائم بالدولة المدرارية الذين كانوا يقدمون الولاء والطاعة للدولة العباسية، وبذلك فرضت الدولة العباسية ودولة الأغالبة بما قام به إليسع بن مدرار.

وعندما سمع أبو عبدالله الشيعيّ بما فعله إليسع بن مدرار بالمهدي وابنه أرسل إليه رسلاً منهم محمد بن حي اليشكري، ويعلى بن باطيط الرماني، إلا أن إليسع قد أمر بحبسهما، وقرر أبو عبدالله الشيعيّ بتعبئة عساكره لفك أسر المأسورين، وكان إليسع بن مدرار قد هرب ودخل أبو عبدالله الشيعيّ مدينة سجلماسة، وحرر المأسورين وعلى رأسهم عبدالله المهدي(٦).
المهدي(٦).

وبايع أهل سجلماسة بعد إليسع الفتح بن ميمون الأمير، وكان أباضياً، فتوفي سنة 300هـ وولي أخوه أحمد بن ميمون الأمير، واستقام أمره إلى أن زحف إليه مصالة بن

---

(١) ابن الخطيب، أعمال الأعلام (تاريخ المغرب)، ص 139؛ ابن خلدون، العبر ج 6، ص130؛ وانظر: سالم، تاريخ المغرب، ص583.

(٢) البكريّ، المسالك، ج 2، ص 838؛ الناصريّ، الاستقصا، ج 1، ص 125؛ ابن خلدون، العبر، ج 6، ص131؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص143.

(٣) االناصريّ، الاستقصا، ج1، ص155-156؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص145.

(٤) عماد الدين إدريس، تاريخ الخلفاء، ص153.

(٥) المصدر نفسه، ص 153-154؛ محب، محمود قاسم، الحياة الفكرية في عهد الأغالبة (184-296هـ/800-909م)، رسالة ماجستير، إشراف أ.د عبد الواحد ذنون طه، جامعة الموصل، العراق، 1989م، ص109.

(٦) مجهول، الاستبصار، ص204؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص126؛ عماد الدين إدريس، تاريخ الخلفاء، ص159.

حبوس _قائد الشيعة العبيديين_ في جموع من أهل كتامة البربر سنة 309هـ، ودخل مصالة سجلماسة وقبض على أحمد بن ميمون الأمير[١].

وقد دعا المعتز بن محمد بن ساور بن مدرار الذي جاء بعد أحمد بن الأمير ميمون بن مدرار للشيعة الذين كانوا على عداوة متواصلة مع الدولة العباسية حتى سنة 321هـ، وولى ابنه محمد بن المعتز، ثم جاء بعده المنتصر سمكو[٢].

وولي محمد بن المعتز سجلماسة بعد أبيه، حيث أيّده عبيدالله الشيعيّ، وبقي على سجلماسة حتى توفي سنة 321هـ، وولي بعده أخوه سمغون الملقب بالمنتصر[٣].

وكان المنتصر صغيراً لا يتجاوز من العمر ثلاث عشرة سنة، إذ ثار عليه ابن عمه محمد بن الفتح بن ميمون بن مدرار في سنة 332هـ وقام بإخراج المنتصر من سجلماسة، وقطع الدعوة عند الخلفاء الفاطميين، ودعا إلى نفسه[٤].

وكانت وفاة محمد بن الفتح سنة 354هـ، إذ غدر به قوم من مطغرة [*]، حيث كان يحسس الأخبار، وقبض عليه، وأحضره إلى جوهر الصقليّ الذي حبسه، وحمله إلى القيروان، وقد حكم احدى عشرة سنة، وبعدها انتهت الدولة المدرارية[٥].

وثار على المنتصر محمد بن الفتح بن ميمون الأمير الذي رفض المذهب الخارجي، ونادى بالدعوة العباسية، وأخذ بمذهب أهل السنة على المذهب المالي وقد تلقب بالشاكر بالله كما ذكرنا سابقاً[٦].

وفي سنة 347هـ فرّ محمد بن الفتح من سجلماسة بعد أن زحف عليه جوهر الكاتب قائد المعز العبيديّ والذي دخل سجلماسة[٧].

وكانت دولة بني مدرار قد عاصرت الدولة الأغلبية في فترة حكمها، وعلى الرغم مما كان بينهما من العداء السياسي والمذهبي، فإنه لم يحدث بينهما أي تصادم عسكري لوجود دولة حاجزة بينهما وهي دولة بنو رستم في تاهرت[٨]، وذلك بعد مائة وستين سنة[٩].

وهكذا فإننا نرى أن دولة بني مدرار قد وقفت موقفاً وسطاً بين القوى المتصارعة بالمغرب وهي الدولة الرستمية، ودولة الأغالبة، ودولة الأدارسة، ولم تتخذ دولة بني مدرار

---

(١) البكريّ، المسالك، ج2، ص839؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص126.

(٢) البكريّ، المسالك، ج2، ص840؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص126.

(٣) ابن الخطيب، أعمال الأعلام (تاريخ المغرب)، ص147؛ وانظر: سالم، تاريخ المغرب، ص589.

(٤) ابن الخطيب، أعمال الأعلام (تاريخ المغرب)، ص147؛ وانظر: سالم، تاريخ المغرب، ص589.

(*) مطغرة: قبيلة زناتية ونسب إليها الزعيم البربري ميسرة المطغري.

(٥) ابن الخطيب، أعمال الأعلام (تاريخ المغرب)، ص149؛ وانظر: سالم، تاريخ المغرب، ص589.

(٦) البكريّ، المسالك، ج2، ص840؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص126.

(٧) البكريّ، المسالك، ج2، ص840؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص126.

(٨) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص126.

(٩) ابن الآبار، أبي عبدالله محمد بن عبدالله بن أبي بكر القضاعي، الحلة السيراء، تح: د. حسن مؤنس، دار المعارف، القاهرة، 1985م، ج1، ص192، وسيشار إليه فيما بعد: ابن الآبار الحلة السيراء، الحلة السيراء، ج1، ص192.

موقفاً عدائياً من الدولة العباسية، بل اعترف (المدراريون) بسلطان الخلافة، وعملوا على مداراة الأغالبة، وتوثيق صلتهم بالرستميين على الرغم من الاختلافات المذهبية بينهم.

ولم تنجح (سجلماسة) رغم وقوعها اعتصامها بصحراء المغرب الجنوبية وموازانة سياستها مع بنو رستم والأغالبة في النجاة مما آلت إليه على أيدي الفاطميين.

▪ الدولة الرستمية الخارجية (137-297هـ/754-909م):

ـ الأسباب التي أدّت إلى قيام الدولة الرستميَّة 161هـ/777م

في سنة 140هـ/757م سيطرت على افريقية بعض القبائل الصفرية، وذلك بعد قتل حبيب بن عبد الرحمن الفهري (والي افريقية/تونس) على يدي عاصم بن جميل أمير قبيلة ورفجومة، وكان كاهناً يدعي النبوة، ومقتل عاصم على يدي عبد الملك بن أبي الجعد اليفرني سنة 140هـ/757م[١].

وكانت قبيلة ورفجومة قد عانت في افريقية الفساد إذ ظلموا، وأفسدوا، وسفكوا الدماء وهتك الحرمات، الأمر الذي جعل الكثير من سكان افريقية يفرون إلى طرابلس بعد أن ساموا أهلها سوء العذاب[٢].

ثم قام أحد الأباضية ويدعى أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري وكان أحد ثوار طرابلس إذ استولى عليها، وأراد التوجه إلى القيروان لقتال ورفجومة، إذ خرج له عبد الملك بن أبي جعدة بجموع ورفجومة، وحصل بينهم قتال، وذلك في شهر صفر سنة 141هـ/758م وكانت نتيجة القتال أن هزمت ورفجومة[٣].

وكان عبد الأعلى بن السمح قد ولى على القيروان عبد الرحمن بن رستم[٤]، وتوجه عبد الأعلى بن السمع إلى طرابلس[٥].

ولما سيطرت الصفرية من الخوارج على افريقية بعد أن قتلت ورفجومة من قتلت من عربها، خرج جماعة من عرب القيروان، منهم عبد الرحمن بن زياد بن أنعم، ونافع بن عبد الرحمن السلمي، وأبو البهلول بن عبيدة وغيرهم إلى أبي جعفر المنصور يستنجدونه، ويستنصرونه على البربر، وأفعالهم الشنيعة، فقام أبو جعفر المنصور بتولية محمد بن الأشعث مصر، وأبي الأحوص عمرو بن الأحوص افريقية (تونس)[٦].

---

(١) ابن عذاري، البيان، ج 1، ص70؛ الناصريّ، الاستقصا، ج 1، ص122؛ النويريّ، نهايةالأرب، ج 24، ص38.

(٢) ابن عذاري، البيان، ج 1، ص70؛ الناصريّ، الاستقصا، ج 1، ص123؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج 24، ص38.

(٣) أبو زكريا، السير، ص69؛ ابن عذاري، البيان، ج1، ص70-71؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص123؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص38.

(٤) أبو زكريا، السير، ص 69؛ ابن عذاري، البيان، ج 1، ص 70-71؛ الناصريّ، الاستقصا، ج 1، ص123؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص38.

(٥) أبو زكريا، السير، ص 69؛ ابن عذاري، البيان، ج 1، ص71؛ الناصريّ، الاستقصا، ج 1، ص124؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص39.

(٦) أبو زكريا، السير، ص71-72؛ ابن عذاري، البيان، ج1، ص71؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص127؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص39.

وحدث تصادم وقتال بين جيش أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري وجيش أبو الأحوص العجلي الذي أقبل ومعه جيش من العباسيين، والتقوا بمنطقة مقداس على شاطئ البحر المتوسط، وكانت نتيجة المعركة أن انهزم أبو الأحوص وجيشه في هذه المعركة، وعاد أبو الخطاب إلى طرابلس[١].

وحصلت معركة أخرى بين جيوش محمد بن الأشعث الذي أمره أبو جعفر المنصور بالمسير لمحاربة وقتال أبي خطاب، وكان أبو جعفر المنصور قد أوعز إلى الأغلب بن سالم التميمي والمحارب بن هلال الفارسي والمخارق بن غفار الطائي وأمرهم بالتوجه لقتال أبي الخطاب، وكان عدد جيش ابن الأشعث أربعين ألفا[٢].

وكان أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح قد جمع ما يقارب سبعين ألفاً، واستقدم أبو الخطاب عبد الرحمن بن رستم من القيروان، وقدم عبد الرحمن بن رستم ومعه جيش كبير[٣].

والتقى الجيشان وحدثت معركة سرت[*]، وقد قتل ابن الأشعث أبو الخطاب في هذه المعركة[٤].

وعلم عبد الرحمن بن رستم بخبر مقتل أبي الخطاب، فولى هارباً إلى تاهرت هو وأهله وولده عبد الوهاب، وكان أباضية تاهرت (المغرب الأوسط) قد بايعوه بالإمامة، وقد شرع عبد الرحمن بن رستم ببناء مدينة تاهرت[٥].

وكان محمد بن الأشعث قد هزم من تبقى من فلول جيش أبي الخطاب الذين كانوا بقيادة أبي هريرة الزناتي إذ كان عددهم ستة عشر ألفاً[٦].

وفي سنة 145هـ اشتغل محمد بن الأشعث ببناء سور مدينة القيروان، وكان قد بعث إلى زويلة ودان ففتحها، وقتل من بهما من الأباضية وعلى رأسهم عبدالله بن حيان الأباضي الذي كان على راس زويله، وهدأت أحوال افريقية في هذه السنة[٧].

وفي هذه السنة 145هـ، تولى أمر طرابلس أبي حاتم يعقوب بن لبيد الملزوزي، وكان يرسل الصدقات والأموال التي يجمعها للإمام عبد الرحمن بن رستم[١].

---

(١) أبو زكريا، السير، ص 72–73؛ ابن عذاري، البيان، ج 1، ص 71؛ الناصريّ، الاستقصا، ج 1، ص127؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص39.

(٢) أبو زكريا، السير، ص71–73؛ ابن عذاري، البيان، ج1، ص71؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص127؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص39.

(٣) أبو زكريا، السير، ص 73؛ ابن عذاري، البيان، ج 1، ص71؛ الناصريّ، الاستقصا، ج 1، ص127؛ النويريّ، نهاية الأرب ج24، ص39.

(*) سرت: مدينة على ساحل البحر المتوسط بين برقة وطرابلس الغرب. أنظر: ياقوت، معجم البلدان، ج 3، ص206.

(٤) أبو زكريا، السير، ص 74؛ ابن عذاري، البيان، ج 1، ص72؛ الناصريّ، الاستقصا، ج 1، ص128؛ النويريّ، نهاية الأرب ج24، ص40.

(٥) أبو زكريا، السير، ص 75؛ ابن عذاري، البيان، ج 1، ص72؛ الناصريّ، الاستقصا، ج 1، ص128؛ النويريّ، نهاية الأرب ج24، ص40.

(٦) ابن عذاري، البيان، ج1، ص72.

(٧) ابن عذاري، البيان، ج 1، ص73؛ الناصريّ، الاستقصا، ج 1، ص128؛ النويريّ، نهاية الأرب ج 24، ص40.

وفي سنة 151هـ ولي أبو جعفر المنصور عمر بن حفص هزارمرد على افريقية عندما قتل الأغلب بن سالم سنة 151هـ(٢).

وكان أبو حاتم قد توجه إلى القيروان لحصارها والسيطرة عليها وقد حاصرها ثمانية أشهر فقاتله عمر بن حفص بمن معه أشد قتال، إذ حاصرهم حصاراً اقتصادياً، وطال الحصار ثم بلغه أن أبا جعفر المنصور قد وجه حملة لإنقاذه وهي حملة يزيد بن حاتم المهلبي، وخرج عمر بن حفص، فقاتل حتى قتل سنة 154هـ(٣).

ومجمل القول، إنه في سنة 155هـ، حدثت معركة في طرابلس بين قوات أبي حاتم الملزوزي ويزيد بن حاتم، انهزم على إثرها البربر، وقتل أبو حاتم ثائراً لعمر بن حفص الذي قتل(٤).

وكان عبد الرحمن بن حبيب بن عبد الرحمن الفهري مع أبي حاتم، فلحق بكتامة، فبعث يزيد يطلب المخارق بن غفار فحاصره ثمانية أشهر ثم انتصر، فقتل جماعة ممن معه، وهرب الباقون، ونجا هو حيث هرب إلى الأندلس(٥).

وكانت حروب الخوارج مع العرب منذ مقتل عمر بن حفص إلى انتهائها عام 375هـ حروباً شرسة(٦).

وفي سنة 157هـ ولت قبيلة ورفجومة عليهم رجلاً يقال له أبو زرجونه، فبعث إليهم يزيد بن حاتم رجل يقال له يزيد بن مجزأة فهزموه، فتوجه إليهم ابن المهلب ـ وكان والياً على منطقتي الزاب وطبنة ـ وأذن له والده بالزحف إلى ورفجومه، وذهب معه العلاء بن سعيد بن ودان المهلبي فأوقع بهم، وقتلهم، وانتصر عليهم(٧).

ولم يزل أمر الخوارج بالمغرب ـ أيام يزيد بن حاتم ـ في تناقض، وفوضى إلى أن اضمحلت ديانتهم وافترقت جماعتهم(٨).

وفي سنة 160هـ/776م استطاع عبد الرحمن بن رستم، وبكل جدارة من تأسيس دولة بني رستم بن بهرام (الدولة الرستمية) وعاصمتها تاهرت(٩).

---

(١) أبو زكريا، السير، ص 78؛ الدرجيني، طبقات، ج 1، ص 38؛ وانظر: وانظر: إسماعيل، محمود، الخوارج في المغرب الإسلامي، دار صادر، بيروت، 1976م، ص66 .

(٢) ابن عذاري، البيان، ج 1، ص75؛ الناصريّ، الاستقصا، ج 1، ص130؛ النويريّ، نهاية الأرب ج 24، ص42.

(٣) أبو زكريا، السير، ص 82-83؛ ابن عذاري، البيان، ج 1، ص75-76؛ الناصريّ، الاستقصا، ج 1، ص131.

(٤) أبو زكريا، السير، ص83-84؛ ابن عذاري، البيان، ج1، ص78؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص132؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص46.

(٥) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص132.

(٦) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص132.

(٧) المصدر نفسه، ج1، ص132-133.

(٨) المصدر نفسه، ج1، ص132-133.

(٩) أبو زكريا، سير، ص85-86؛ الدرجيني، طبقات، ج 1، ص11؛ ابن عذاري، البيان، ج 1، ص72؛ ابن خلدون، العبر، ج 4، ص 192-193؛ وانظر: دبوز، محمد علي، تاريخ المغرب الكبير، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1963م، ج3، ص251.

وقد اختلفت الروايات في أصل بهرام، فالبكري يقول: (أنه بهرام بن ذي شرار بن سابور بن بايكان بن سابور بن ذي الاكتاف الملك الفارسي)[١].

ويقول ابن خلدون: (أنَّ بهرام هو من ولد رستم أمير الفرس بالقادسية) [٢]، أمَّا ابن عذاري فيقول عن بهرام: (وكان مولىً لعثمان بن عفان)[٣].

أمَّا عن قدومه إلى افريقية فتقول رواية الشماخي أنَّ أباه رستم رحل إلى مكة وبرفقته زوجته وابنه عبد الرحمن لأداء فريضة الحج واقترنت امرأته برجل من أهل القيروان حيث صحبها وابنها عبد الرحمن معه عند عودته إلى بلده[٤].

ويعدّ عبد الرحمن بن رستم من حملة العلم الخمسة، أحدهم أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري، وعاصم السدراتي، واسماعيل بن درار الغدماسي، وأبو داؤود القبلي، ونشأ عبد الرحمن بالقيروان، فلما بلغ مبلغ الرجال وتعلم نظر إليه رجل من أهل الدعوة، وقال له: (يا فتى إن كنت طالباً ما أراك تطلبه فاقصد إلى أبي عبيد مسلم ابن أبي كريمة التميمي تجد عنده ما رجوت)[٥]. وقد أخذ عبد الرحمن بن رستم علمه عن أبي عبيدة بن مسلم التميمي[٦]. التميمي[٦].

خرج عبد الرحمن بن رستم من العراق في اتجاه المغرب، رغم أن موطنه كان في الحجاز[٧]، وتتفق المصادر الأباضية حول الرواية التي تقول أنَّ أمّ عبد الرحمن لمَّا توفي زوجها تزوجت حاجاً مغربياً من القيروان، فأخذ الأم وابنها إلى القيروان[٨].

نشأ عبد الرحمن بن رستم مؤسِّس الدولة الرستمية وترعرع وأخذ نصيباً من العلم في القيروان المدينة العربية الأولى في المغرب، ولا شكَّ في أنّ عبد الرحمن وصل إلى هذه المنطقة أواخر القرن الأول الهجري وبداية القرن الثاني الهجري[٩].

ويروي الدرجيني لنا اتصال ابن رستم وهو في مقتبل الشباب بسلمة بن سعيد الداعية الأباضي، وتعلقه بتعاليمه، ويقول عن الإمام أفلح عن أبيه عبد الوهاب عن جدّه عبد الرحمن، أنه قال: (أول من جاء يطلب مذهب الأباضية ونحن بقيروان افريقية سلامة بن سعد قال: قَدِم علينا من أرض البصرة... فسمعتُ سلمة يقول: وَدَدْتُ أن نظهر هذا الأمر... يوماً واحداً من أول النهار إلى آخره، فلا آسف على الحياة بعده، فقام عبد الرحمن مجتهداً في ذلك الأمر)[١٠].

---

(١) البكريّ، أبو عبيد الله عبدالله بن عبد العزيز بن محمد بن أيوب بن عمرو البكريّ، المغرب في ذكر بلاد افريقيا والمغرب، تح عبد الرحمن الحجي، دار الإرشاد، بيروت، 1965م، ص67. وسيشار إليه فيما بعد: البكريّ، المغرب؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص162.

(٢) ابن خلدون، العبر، ج6، ص121؛ وانظر: نبيلة، محاضرات، ص250.

(٣) ابن عذاري، البيان، ج1، ص196؛ ياقوت، معجم البلدان، ج2، ص8.

(٤) الشماخي، ج1، ص123.

(٥) أبو زكريا، سير، ص58-59.

(٦) المصدر نفسه، ص58-59.

(٧) أبو زكريا، سير، ص40.

(٨) المصدر نفسه، ص35؛ الدرجيني، طبقات، ص123.

(٩) إسماعيل،الخوارج، ص145؛ بحاز، إبراهيم بكير، الدولة الرستمية (دراسة الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية)، (د.مط)، بيروت، ط1، 1985م، ص94.

(١٠) الدرجيني، طبقات، ج 1، ص 11-12؛ الشماخي، سير، ص 123؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص374.

وقد ظلَّ عبد الرحمن بن رستم بالقيروان إلى قدوم محمد بن الأشعث الخزاعي بقواته إذ فرَّ منها إلى المغرب الأوسط سنة 144هـ/761م، وكان في ذلك أولى خطوات تأسيس الدولة الرستمية الأباضية[١].

ومهما يكن من أمر فإن عبد الرحمن بن رستم استطاع وبكل جدارة تأسيس دولة بني رستم (الدولة الرستمية) الأباضية وذلك سنة 160هـ/776م في عاصمته تاهرت[٢].

وكان عبدالرحمن بن رستم قد اختطَّ مدينة تاهرت سنة 144هـ بعد فراره من القيروان[٣].

وبقي عبد الرحمن بن رستم بالقيروان إلى أن قدم محمد بن الأشعث بالقوات العباسية فخرج لنداء أبي الخطاب، ولكنه عاد من قابس عندما رأى هزيمة الأباضية قبل أن يفر من القيروان خفية نحو المغرب الأوسط سنة 144هـ/761م، ورغم ما تقوله بعض الروايات من أن ابن رستم بنى مدينة تاهرت عقب فراره سنة 144هـ أو بعدها بقليل، فالأقرب إلى الصحة أن ابن رستم لم يفكر في ربط مصيره واتباعه بالمغرب الأوسط إلا بعد أن فشلت محاولاته في العودة من جديد إلى افريقية، وبعض الروايات الأباضية تؤيد بناء مدينة تاهرت سنة 160هـ أي بعد أكثر من خمس عشرة سنة من فرار عبد الرحمن من القيروان[٤].

وكانت الدولة الرستمية تحدّ الدولة الأغلبية (حلفاء العباسيين) من الجنوب والغرب، وكان العداء بين الدولتين سياسياً ومذهبياً، ذلك لأن الخوارج الأباضية يَعُدّون مَن يخالفهم من الكفار[٥].

ولمّا كثر الأباضية من المغربَين الأدنى والأوسط وتركزوا في نقطة واحدة التقوا حول عبد الرحمن بن رستم، وقد رأوا ضرورة وجود عاصمة يأوون إليها ويتحصَّنون بها فاقترحوا أن تكون تاهرت[٦].

---

(١) أبو زكريا، سير، ص46؛ الدرجيني، طبقات، ج1، ص35.

(٢) أبو زكريا، سير، ص 85-86؛ الدرجيني، طبقات، ج 1، ص19-20 وما بعدها؛ ابن عذاري، البيان، ج1، ص72؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص192-193؛ وانظر: دبوز، تاريخ المغرب، ج3، ص251، 295، 306 وما بعدها؛ الباروني، سليمان، مختصر تاريخ الأباضية،(د.مط)، تونس، 1990م، ص30. وسيشار إليه فيما بعد: الباروني، مختصر؛ معمر، علي يحيى، الأباضية في موكب التاريخ، دار صادر، بيروت، 1966م، ص23؛ إسماعيل، الخوارج، ص 103؛ السامرائي، خليل إبراهيم، إمامة الدفاع الثانية عند خوارج المغرب العربي، مجلة التربية والتعليم، ع4، بغداد، 1981م، ص97-98.

(٣) النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص40؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص121؛ وانظر: زكار، سهيل، الدولة الرستمية، مجلة الدراسات التاريخية، ع12، أيار (مايو) 1983م، جامعة دمشق ص 80-81.

(٤) أبو زكريا، سير، ص85-86.

(٥) البغداديّ، عبدالقادر بن طاهر بن محمد، الفرق بين الفرق، تح محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة بولاق، القاهرة، (د.ت) ص102، وسيشار إليه فيما بعد: البغداديّ الفرق.

(٦) أبو زكريا، سير، ص 85-86؛ الدرجيني، طبقات، ج 1، ص 41؛ الشماخي، السير، ص 139؛ وأنظر: الباروني، سليمان بن عبدالله النفوسي،الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الأباضية، مطبعة الأزهار الرياضية، القاهرة، (د.ت)، ج 2، ص 5، هامش 1، 3. وسيشار إليه فيما بعد: الباروني، الأزهار؛ إسماعيل، الخوارج، ص256؛ جهلان، عدوان، الفكر السياسي عند الأباضية (من خلال أراء الشيخ محمد بن يوسف أطفيش) 1236-1332هـ/1818-1914م إشراف أ.د أبو عمرو آل الشيخ، رسالة ماجستير، عمان/مسقط 1987م، ص 49.

ذلك أن الاباضية قرروا بناء مدينة يتحصنون فيها ويُعدّ مكاناً صالحاً، إذ أن ذلك الموضع يمتاز بجودة الهواء، وكثرة المياه والخصب، وهو قابل للعمارة ومأمون من العدو[١].

وتاهرت تقع وسط الجبال، ولم يكن من السهولة دخولها إلا من الناحية الجنوبية حيث كان هناك طريق طويل يصل في النهاية على جبل نفوسة، كذلك كانت الأرض حول تاهرت خصبة ووفيرة المياه[٢].

وكان موقع المدينة يمتاز كذلك بالأشجار الكثيفة، ومرتعاً للسباع والوحوش، وعندما تم اختيار موقع العاصمة، تم تأسيس المسجد الجامع، ثم اختطوا دوراً، وقصوراً، وبيوتاً[٣].

وتاهرت تقع على نهر كبير يأتيها من ناحية القبلة، يسمى (مينه منياس) عند ابن خلدون، ولها نهر آخر يجري من عيون تجتمع يسمَّى (تاتش)، ومنه تشرب أرض تاهرت وبساتينها[٤].

وينفرد البكري برواية دون غيره، إذ يذكر أنَّ الأباضية في أول الأمر توجهوا إلى تاهرت القديمة أو العليا حسبما يفهم من كلامه، فلمَّا أرادوا بناءها من جديد أو ربما توسيعها، ووضع سور لها، كانوا كلما بنوا شيئاً في الليل وجدوه وقد هُدِم في الصباح على أيدي بربر صنهاجة أصحاب الأرض الذين رفضوا البيع، فعزفوا عن ذلك الموضع، وانتقلوا إلى موضع تاهرت الحديثة، وتقع على بعد خمسة أميال من تاهرت القديمة إلى الغرب[٥].

وذكر الجغرافيون محاسنها، وخاصة الأنهار القريبة منها نهر (مينة) الذي يأتيها من جهة القبلة، ونهر (تاتش) وهذا الأخير يجتمع من عيون عديدة، ومنه يشرب أهل تاهرت[٦].

ومن الأسباب التي دفعت عبد الرحمن بن رستم لاختيار وفرة المياه، وخصب الأراضي والأشجار الكثيفة ووجود الأنهار، وجودة الهواء، وكذلك لأنها مأمونة من الأعداء، ولكن هناك أسباب أخرى:

أولاً : تقليد عبد الرحمن بن رستم للمدراريين الخوارج الصفرية الذين بنو عاصمتهم (سجلماسة) في جوف الصحراء، واستطاعوا أن يكونوا في مأمن من هجمات وغارات القوات العباسية، فلا عجب أن عبد الرحمن بن رستم اختار هذا الموضع الذي يقع على تخوم الصحراء والبعيدة عن القيروان مركز أعدائه بنحو تسع عشرة مرحلة[٧].

ثانياً: مركز تاهرت التجاري، إذ أنه يربط تجارة الشمال بتجارة الجنوب[٨].

---

(١) الباروني، الأزهار، ج2، ص5–6؛ الشماخي، السير، ج1، ص139.

(٢) الاصطخري، المسالك، ص31؛ وانظر: كحيله، المُغرب، ص54؛ زكار، الدولة الرستمية، ص76–77.

(٣) البكريّ، المغرب، ص 67؛ أبو زكريا، سير، ص 53؛ ياقوت، معجم البلدان ج 2، ص 8؛ الدرجيني، طبقات، ج1، ص41؛ الشماخي، السير، ص139؛ وانظر: الباروني، الأزهار، ج2، ص2.

(٤) مجهول، الاستبصار، ص178؛ ياقوت، معجم البلدان، ج2، ص8؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص121.

(٥) البكريّ، المغرب، ص 67؛ ابن عذاري، البيان، ج1، ص196؛ وانظر: اسماعيل، الخوارج، ص148–149.

(٦) البكريّ، المغرب، ص66–67.

(٧) ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي البغداديّ النصيبي، صورة الأرض، مكتبة دار الحياة، بيروت، (د.ت)، ص84–85؛ الاصطخري، المسالك، ص37.

(٨) بحاز، الدولة الرستمية، ص86–94.

ثالثاً: اختيار عبد الرحمن بن رستم لتاهرت لكي يستطيع أن يتحكم في القبائل الصحراوية البدوية، بحيث لا يمكنها الهروب منه؛ لأنه يقبض عليها من الوسط[١].

وقبل أن نختم هذا الجانب، وجب علينا أن نعرف معنى كلمة (تاهرت) فهي كلمة بربرية وهي تعني (محطة) أو (إقامة)[٢].

ومجمل القول؛ إن من الأسباب الرئيسة التي أدّت إلى قيام الدولة الرستمية في المغرب الأوسط (الجزائر):

أولاً: أن تكون هذه المنطقة دولة أباضية تمارس المذهب الأباضي.

ثانياً: نشر هذا المذهب بين القبائل في المنطقة تستظل بهذه الدولة جميع القبائل المعتنقة لهذا المذهب من المغربين الأدنى والأوسط، وتعدّ هذه الدولة ثمرة جهود علماء المذهب الأباضي في المشرق والمغرب وتتويجاً للثورات الأباضية ضد الولاة الأمويين والعباسيين في المغرب العربي[٣].

ثالثاً: الاستقلال عن الدولة العباسية واجتماع الفرق الأباضية في دعوة واحدة، ولم يكن الدين إلا شعاراً لإخفاء هذا الهدف، ولإعطاء موقف الاستقلال نوعاً من الشرعية[٤].

رابعاً: ولأن مدينة تاهرت قد أصبحت مركز اجتماع الخارجين الهاربين: أي أن من الأسباب التي أدَّت لقيام الدولة الرستمية إيجاد ملجأ آمناً للدعوة الأباضية، وهرباً من التعذيب والموت وخوفاً من جبروت الدولة العباسية[٥].

ونالت الدعوة الأباضية والإمامة الجديدة من خوارج المغرب الأدنى والأوسط، خاصة من سكان جبل نفوسة وأهل جزيرة جربة، وبلغت هذه الأخبار مسامع واهتمام الخوارج في المشرق، خاصة في البصرة وعُمان، فجمع خوارج البصرة (أموالاً عظيمة وبعثوا بها مع نفر من ثقاتهم)[٦].

وسادت الحرية الدينية في عاصمة الأباضية، وتطورت الحياة الاجتماعية فيها، وقام فيها نشاط تجاري وزراعي كبير، وازدهرت فيها الحياة الاقتصادية بشكل عام والحركة الثقافية

---

(١) بحاز، الدولة الرستمية، ص86-94.

(٢) الجيلالي، عبد الرحمن محمد، تاريخ الجزائر العام، دار صادر، بيروت، 1980م، ج1، ص220؛ بحاز، الدولة الرستمية، ص89؛ جورج مارسية، دائرة المعارف الإسلامية (مادة تاهرت)، طبع في جيهان: طهران- الجمهورية الإيرانية (د.ت)، ج4، ص525.

(2)الدرجيني، السير، ص85-86،.

(٤) ابن الصغير، أخبار الأئمة، ص 12-13؛ الكعاك، عثمان، سلسلة كتاب البعث، الكتاب الخامس، ط 1، (د.م)، 1956م، ص96.

(٥) وفيقة، نشوء الدويلات، ص15.

(٦) ابن الصغير، أخبار الأئمة، ص32؛ وانظر: زكار، الدولة الرستمية، ص74.
وحول علاقة عُمان بالمغرب فقد بدأت العلاقة بين عُمان والمغرب، منذ أن التقى حملة العلم المغاربة أخوانهم حملة العلم من عُمان، وكانت البصرة ملتقى الجميع باعتبارها مركز الدعوة الأباضية حيث كان يتلقى هؤلاء العلم عن أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، وغيره من قادة المذهب الأباضي، وقد مكث الجميع عند أبي عبيدة عدَّة سنين، يتلقون خلالها مبادئ المذهب الأباضي لينقلوها بدورهم إلى عُمان والمغرب.
إذ أن العلاقة بين عُمان والمغرب كان بدايتها مذهبية قوامها كتاب الله وسنة رسوله (ص)، وما دام الدين الإسلامي بداية الرباط بين الطرفين فهي من أمتن العلاقات. أنظر: ابن الصغير، أخبار الأئمة، ص 32؛ أبو زكريا، السير، ج1، ص113؛ الدرجيني، طبقات، ج1، ص 19.

كذلك وعلى نطاق واسع، فغدت مركز إشعاع حضاري نحو قلب افريقية وباتت تُعرَف باسم (عراق المغرب) و (بلخ المغرب)(١).

وأصبحت الدولة الرستمية تضم المغرب الأوسط كله ما عدا تلمسان التابعة للأدارسة غرباً ومنطقة الزاب التي يسيطر عليها الأغالبة شرقاً، ويدخل ضمن حدود الدولة الرستمية جبل نفوسة، وكل المناطق جنوب طرابلس وجزيرة جربة، إضافة إلى بلاد الجريد (جنوب تونس)، وهكذا فإن هذه الدولة تكون قد تربعت على رقعة شاسعة من المغرب العربي تحيط بالدولة الأغلبية من الغرب، والشرق، والجنوب(٢).

- **المبادئ التي نادَوا بهـــــــا:**

كان أباضية الدولة الرستمية التي حافظت على استقلالها زمناً طويلاً همهم تنظيم دولة ضمن المبادئ التي آمنوا بها، ولم يكن أباضيتها كغالب الخوارج همهم الثورة، بل كانوا كخوارج العرب همهم تنظيم الدولة على مبادئهم(٣).

وقد قامت الدولة الرستمية على المذهب الأباضي: والأباضيون ينسبون إلى إمامهم في الدين عبدالله بن أباض، وهو الذي فارق جميع الفرق قبل المعتزلة والقدرية والصفرية والخوارج والشيعة، وهو أول من بيَّن مذاهبهم، ونقض فساد اعتقادهم، بالحجج والآيات والروايات، نشأ في زمن معاوية بن أبي سفيان، وعاش إلى زمان عبد الملك بن مروان(٤).

لقد آمنت الدولة الرستمية الأباضية بمبادئ عدة حافظت على استقلالها زمناً طويلاً.

فقد قامت الدولة الرستمية على المذهب الأباضي (أصحاب عبدالله بن إباض)، وهو الذي فارق جميع الفرق قبل المعتزلة، والقدرية، والصفرية، والخوراج، والشيعة، وهو أول من بين مذاهبهم ونقض فساد اعتقادهم بالحجج والآيات والروايات(٥).

والأباضية من الخوارج، والخوراج أربعة أصناف: الأزارقة، وهم أصحاب نافع بن الأزرق، والنجدية وهم أصحاب عبدالله بن عامر الحنفي، والأباضية وهم أصحاب عبدالله بن إباض، والصفرية وهم أتباع عبدالله بن صفار، ومن هذه الأصناف الأربعة تشعبت فرق الخوارج كلها، وإنما كانت هذه الأصناف أصولاً لسائر فرقهم لأنك لا تجد اليوم أصلاً من

---

(١) ابن الصغير، أخبار الأئمة، ص36–37؛ وانظر: زكار، الدولة الرستمية، ص80.

(٢) الجنحاني، الحبيب، العلاقات السياسية الاقتصادية بين افريقية والمغرب الأوسط بين القرنين الثاني والخامس الهجريين، محاضرة رقم 46، ندوة الملتقى الحادي عشر للفكر الإسلامي، باتنه: الجزائر، 1978م، ص5؛ إسماعيل، الخوارج، ص 141، لومبار، لوريس، الجغرافية التاريخية للعالم الإسلامي خلال القرون الأربعة الأولى، ترجمة عبد الرحمن حميدة دار الفكر: دمشق، 1399هـ/1979م، ص87–283.

(٣) الحارثي، سالم بن حمد بن سليمان، العقود الفضية في أصول الأباضية، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، عمان، 1983م، ص121.

(٤) السيابي، سالم بن حمود بن شامس السيابي السملائي، إزالة الوعثاء عن أتباع أبي الشعثاء، تح سيدة إسماعيل كاشف، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، عمان، 1979، ص50، وسيشار إليه فيما بعد: السيابي، إزالة الوعثاء.

(٥) الناشئ الأكبر، مسائل الإمامة، مقتطفات من الكتاب الأوسط في المقالات، تح يوسف فان اس، دار فرانتس شتاينر، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، بيروت، 1971، ص68، وسيشار إليه فيما بعد: الناشئ الأكبر، مسائل الإمامة؛ الملطي، عبد الرحمن، التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، تح محمد زنهم محمد عزب، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط 1، 1992، ص42، وسيشار إليه فيما بعد: الملطي، التنبيه.

الخوارج إلا وهو يتولى أحد هذه الأصناف الأربعة ويزعم أنه يقول بقوله، ويتبرأ ممن يخالفه من أصحاب الخوارج، وكان ظهور الرؤساء الأربعة في زمان واحد(١)

ويقول أحمد بن سعيد الدرجيني (ت670هـ): (إذا عرف عبدالله بن أباض بأنه إمام أهل الطريق، وجامع الكلمة لما وقع التفريق، فهو العمدة في الاعتقادات، والمبين لطرق الاستدلالات والاعتمادات، والمؤسس للأبنية وهي مستندات الأسلاف..)(٢).

أما أسس الحكم عند الأباضية فالكتاب والسنة والإجماع، وعلى هذه الثلاثة فحلالها حلال، وحرامها حرام، لا هوادة في ذلك ولا خيار لأحد في هذه الأصول الثلاثة، ثم القياس، ثم الاستدلال(٣).

والخوارج في حكم الأباضية مشركون، ذلك لأن الذنوب عندهم صغير وكبير، فالصغير معفو باجتناب الكبير، والكبير أيضاً قسمان، كبائر شرك، وكبائر نفاق، فكبائر الشرك هي كل ما أخلّ بالاعتقاد كاستحلال ما حرم الله أو العكس، أو إنكار ما علم من الدين، أو انكار حكم من أحكام الله، وكبائر النفاق وهي كبائر الكفر بنعم الله(٤).

والإيمان عند الأباضية: قول، وعمل، واعتقاد، فالقول كعصم الدماء، والأموال، وبالعمل يصح الإيمان العملي، وبالاعتقاد يتحقق الإيمان الصادق، وهو الذي يقول فيه الأباضية بأنه يزيد ولا ينقص، بل إذا انهدم بعضه انهدم كله، والإيمان العلمي هو الذي يزيد وينقص(٥).
أما الجهاد لأهل الشرك فلا خلاف فيه بين ملل الإسلام إما مسلم وإما كافر لا ثالث لهما(٦).

ومن الأباضية في افريقية وطرابلس أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري، ثم ابو حاتم الملزوزي الذي خلفه بعد موته، فهؤلاء الأئمة وأتباعهم لعبوا دوراً سياسياً، في انتفاضة البربر، التي أبعدت افريقية عن سلطان الخلافة الإسلامية(٧).

ومن المبادئ التي قامت عليها الدولة الأباضية السرّ والكتمان، ذلك أنه عندما سقطت مدينة تاهرت سنة 296هـ/909م كانت بمثابة الضربة القاضية للنظام الرستميّ، فلم تستطع تاهرت أن تقوى على رد الأعداء، فسقطت أمام جيوش أبي عبدالله الشيعيّ، وفر أبو يوسف يعقوب (آخر الأئمة الرستميين) مع أفراد أسرته وأعيان دولته إلى سدراته قرب وارجلان، وهناك حاول الأباضية تأسيس دولة جديدة لهم (٨)، ولكن الظروف لم تكن مواتية، وبهذا دخل الأباضية في مرحلة الكتمان، وهو أحد المبادئ التي آمنوا بها للمحافظة على كيانهم للوصول على مبدأ آخر وهو نشر دعوتهم ولو سراً، وتحقيق مبدأ آخر وهو الوحدة بين أتباع المذهب،

---

(١) الناشئ الأكبر، مسائل الإمامة، ص68، الملطي، التنبيه والرد، ص42.

(٢) الدرجيني، طبقات، ج2، ص214.

(٣) السيابي، سالم بن حمود بن شامس، أصدق المناهج في تمييز الأباضية من الخوارج، تح سيده كاشفه اسماعيل، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، عمان، 1979م، ص26.

(٤) السيابي، أصدق المناهج، ص33.

(٥) المصدر نفسه، ص33.

(٦) المصدر نفسه، ص33.

(٧) دائرة المعارف الإسلامية، م1، أباضية، ص3-4.

(٨) البغداديّ، الفرق، ص 20 وما بعدها؛ اقبال، موسى، تاريخ المغرب الإسلامي، دار هومه، الجزائر، 2001م، ص 193-194؛ جهلان، الفكر السياسي، ص 51-52.

وتخفيف حدة التوتر بينهم وبين مخالفيهم من السنة والشيعة [١]، ولأجل ذلك اعتمد الأباضية على أمرين في طور الكتمان:

أولاً: تنظيم هيئة خاصة بمثابة السلطة تقوم مقام الإمام أو الخليفة في مرحلة الظهور، وتتكون من العلماء وأعيان القبائل[٢].

ثانياً: الابتعاد عن مواطن المخالفين والالتجاء إلى الأماكن النائية التي يقل ارتيادها، فهم يعتقدون أنهم تسترهم بعيداً عن أعين الأعداء يستطيعون حفظ مذهبهم وكيانهم، وتحقيق وحدتهم وتماسك جماعتهم[٣].

ومن مبادئ الأباضية التي نادو بها ونشروها في بلاد المغرب الإمامة والخلافة وتعنى في نظرهم رئاسة عامة في أمور الدين والدنيا وهي خلافة الرسول في إقامة وحفظ حوزة الملة[٤].

الخوارج كلها تقول بإمامة الفاضل، ولا يجيزون إمامة المفضول، ويزعمون أن أفضلهم من ندب نفسه للخروج ودعا الناس للجهاد، فإذا ابتدأ بذلك رجل منهم فهو أفضلهم عندهم وأحقهم بالإمامة، ويزعمون أن الإمام يصلح أن يكون من سائر الأجناس من العرب والعجم، وهو عندهم سواء[٥].

والخلافة تفرضُ على من هو أهلٌ لها أن يفرض على الرعية كافة اتباعه وطاعته ما لم يأمر بمعصية الخالق وتفرض عليه المحافظة على وحدة المسلمين والدفاع عن الأمة[٦].
والإمام عند الأباضية هو يفترض أن يكون حاكماً عادلاً يعطي بحق، ويأخذ بحق [٧].
ويلتقي الأباضية مع الشيعة في تسمية الحاكم بالإمام، غير أن الشيعة يطلقون لفظ الإمام على خلفائهم ما داموا يدعون لهم في الخفاء، حتى إذا استولوا على الدولة يحولون اللقب إلى أمير المؤمنين، أما الأباضية فإنهم لا يفعلون ذلك[٨].

والأباضية هي أكثر الخوارج اعتدالاً، والاعتدال من مبادئهم، فهم يتفقون مع السنة، في كل شئ ما عدا مبدأ قصر الإمامة على العرب، وفي قريش بخاصة فقد كانوا يرون أن الإمامة يمكن أن تكون في أي مسلم صالح استكمل شروطها، ورضيته الأمة إماماً لها، أما إنكارهم للملك المتوارث الذي ابتدعه بنو أمية ثم بنو العباس خاصة، فقد كان كل المسلمين متفقين معهم عليه، وإن تغاضت الأغلبية منه فاكتفوا باشتراط الصلاحية في الاختيار والعدل في الحكم، وهما شرطان مبهمان؛ لأن كل ورثة العروش يقولون أنهم صالحون، ولكن الحكام

---

(١) إقبال، تاريخ المغرب، ص 193؛ جهلان، الفكر السياسي، ص 51-52.

(٢) إقبال، تاريخ المغرب، ص 193؛ جهلان، الفكر السياسي، ص 51-52.

(٣) إقبال، تاريخ المغرب، ص 193؛ جهلان، الفكر السياسي، ص 51-52.

(٤) ابن خلدون المقدمة، ص 159؛ وانظر: الباورني، مختصر، ص 36-37؛ جهلان، الفكر السياسي، ص 167-172.

(٥) الناشئ الأكبر، مسائل الإمامة، ص68.

(٦) الباروني، مختصر، ص 36-37؛ جهلان، الفكر السياسي، ص 167-172.

(٧) الباروني، مختصر، ص 36-37؛ جهلان، الفكر السياسي، ص 167-172؛ السيد، رضوان، الأحزاب السياسية الدينية قبل الخوارج والشيعة في القرن الأول الهجري، مجلة تاريخ العرب والعالم، ع 58، آب، 1983م، بيروت، ص1.

(٨) الباروني، مختصر، ص 36-37؛ جهلان، الفكر السياسي، ص 177-172.

يقولون أنهم عادلون[١]، ولذلك فإن الدولة الرستمية دولة قامت على الوراثة الدينية، والسياسية للأئمة الرستميين.

لم يستطع عبدالله بن أباض تطبيق مبدئه طول عمره، فظل داعياً إلى أن مات وقام من بعده أبو الشعثاء (جابر بن زيد الأزدي العماني، (ت 93هـ)) فنادى بالمبدأ في بلده عُمان، ثم حاول نشره خارجها، وأبو الشعثاء وضع الأسس الفقهية للمذهب، وظهر من تلاميذه نفر ذوو قدرة ونشاط، ومنهم أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة، فنادى بالقضاء على بدعة الملك، ودعا إلى التمسك بالمبدأ الشوريّ، كما حدده عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)[٢].

والعدل من المبادئ التي نادى بها الأباضية ممثلة في الدولة الرستمية، ويرمز إلى العدالة عندهم بالفضل، وهي عند الأباضية جماع صفات الكمال الأخلاقي من حيث سلامة الاعتقاد، وسلامة الجوارح، ونزاهة النفس[٣].

وقد طبق عبدالرحمن بن رستم مؤسس الدولة الرستمية الأباضية مبادئ العدل والمساواة بين الرعية، إذ أن أبا الخطاب المعافريّ كان قد رشح عبدالله بن رستم لقيادة الأباضية الرستمية في المغرب إذ قال أبو الخطاب في هذا الشأن: (هذا عبد الرحمن بن رستم لا قبيلة له يشرف بها، ولا عشيرة له تحميه، وقد كان الإمام أبو الخطاب قد رضي لكم عبد الرحمن قاضياً وناظراً، فقلدوه أموركم فإن عدل فذلك الذي أردتم وإن سار فيكم بغير عدل عزلتموه)[٤].

ومن المبادئ التي قامت عليها الدولة الرستمية وجود إمامين في آن واحد، عندما يكون إمام ظهور وإمام دفاع، لكن ظروف نشأة الدولة الرستمية تستدعي التكاتف والتكتل حول إمام واحد، فضلاً عن الرقعة الجغرافية التي لا تسمح بوجود إمامين في آن واحد، لذلك فإن عبدالله بن رستم لم يبايع بإمامة الدفاع، إنما كان على الكبر تقديراً إماماً للصلاة لا غير[٥].

وقال بعضهم لبعض من الأباضية: (قد ظهر بالمغرب إمام ملأه عدلاً، وسوف يملك المشرق ويملأه عدلاً)[٦].

ومن مبادئهم أيضاً أن الإمامة شورى بين المسلمين، إذ تذكر المصادر الأباضية أن عبد الرحمن بن رستم لما حضرته الوفاة جعل الإمامة شورى في سبعة نفر صنيع عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)[٧].

---

(١) مؤنس، تاريخ المغرب، ص 319-320؛ الباروني، مختصر، ص 36 وما بعدها.

(٢) مؤنس، تاريخ المغرب، م 1، ص321، 325؛ الباروني، مختصر، ص 36 وما بعدها؛ زكار، الدولة الرستمية،، ص 80-81.

(٣) مؤنس، تاريخ المغرب، م1، ص325،321.

(٤) ابن الصغير، أخبار الأئمة، ص29-30.

(٥) مؤنس، تاريخ المغرب، ص329.

(٦) ابن الصغير، أخبار الأئمة ص32.

(٧) أبو زكريا، سير، ص 54؛ الدرجيني، طبقات، ج 1، ص36؛ وانظر: مبدأ الشورى في نظام الحكم في المغرب العربي خلال العصر الوسيط، مجلة التاريخ، ع 12، المركز الوطني للدراسات التاريخية، الجزائر، 1982م، ص92.

بينما لا يذكر ابن الصغير شيئاً من ذلك، بل يقول: (وكان قد نشأ له (عبدالرحمن بن رستم) في أيامه ولد يعرف بعبد الوهاب، وكان محمود الأفعال، وكان قادراً للقيام بعده، فلمَّا انقضت أيامه صيرت الأباضية الأمر إليه بعده)[١].

إلا أن الباروني ينقل لنا نفس هذا النص حرفياً في (الأزهار الرياضية) والنص هو (وكان قد نشأ له في أيامه ولد يعرف بعبد الوهاب، وكان محمود الأفعال، وكان قد رشحه للقيام بعده، فلما انقضت أيامه صيرت الأباضية إليه الأمر بعده)[٢].

وعبد الرحمن بن رستم عندما جعل الإمامة شورى في سبعة نفر اقتداء بعمر بن الخطاب، يبدو أن فيها شيئاً من المخالفة، لأن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) عندما عيَّن النفر الستة، جعل ابنه مستشاراً لا غير، يحضر مجلس المرشحين، ويبدي رأيه، ولا يتولى من الأمر شيئاً[٣].

ويروي اليعقوبي رواية أخرى عن عمر الذي قال (أخرجت سعيد بن زيد لقرابته مني فقيل في ابنه عبدالله بن عمر، قال حسب آل الخطاب ما تحمَّلوا منهاٍ)[٤].

ومهما يكن من أمر، فإن نظام الحكم في الدولة الرستمية نظام وراثي كنظام الأمويين والعباسيين بالمشرق، والأغالبة أو الأدارسة في المغرب، ويبقى العدل والإحسان ما التزم به الأئمة الرستميون من مبادئ الأباضية، وما تميزوا به من صفات التقوى السائدة خلال كل تاريخ الرستميين، فلو وجدوا لهم غيرها لذكروه)[٥].

ومن المبادئ الأساسية التي ركز عليها الأباضية (انتخاب الإمام التي أراد أن يجعلها فقهاء الأباضية من الشروط الرئيسة للانتخاب: أولها:أخلاقيّ، وثانيها:علمي، وثالثها ورابعها: سياسي[٦].

ولا بأس من أن يكون هذا الترتيب صحيحاً، فالمبدآن الأولان من المبادئ المطلوب توفرها في اختيار الإمام أو الخليفة، كما اتفق على ذلك الفقهاء، فالفضل في هذا النص هو ما يوازي العدالة التي تعني الكمال الأخلاقي من حيث سلامة الاعتقاد، وسلامة الجوارح، ونزاهة التصرفات الشخصية، وأما من كونه من حملة العلم فالعلم شرط أساسي ليس بالنسبة للمرشح لتولي الإمامة والخلافة فحسب، بل هو ضروري أيضاً بالنسبة لطبقة أهل الاختيار أي أن أصحاب الحق في انتخاب الإمام أو الخليفة هذا، ولو أن العلم بالنسبة للطبقة الثانية هو العلم الذي يوصل إلى اختيار الأصلح، أما بالنسبة للإمام فهو العلم الذي يوصل إلى مصلحة الجماعة في الدنيا وسعادتها في الآخرة، أما الشرط الثالث–وهو (كونه عامل أبي الخطاب على افريقية) متمثل فكرة التعيين (والوصية التي تحولت إلى مبدأ الوراثة) وهذا يعني تحول الجماعة الأباضية عن مبدأ الاختيار، فعند أهل السنة قبل مبدأ التعيين أو الوصية على حقيقة

---

(١) ابن الصغير، أخبار الأئمة، ص42.

(٢) الباروني، الأزهار، ج2، ص98؛ والرواية الأباضية التي تقول بأن عبد الرحمن بن رستم عين سبعة نفر هم مسعود الأندلسي، وابو قدامة يزيد بن فندين اليفرني، وعمران بن مروان الأندلسي، وعبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم، وابو الموفق سعدوس بن عطية وشاكر بن صالح الكتامي ومصعب بن سدمان. حول ذلك أنظر: أبو زكريا، سير، ص 54–55؛ الدرجيني، طبقات، ج1، ص46؛ الشماخي، السير، ج1، ص154.

(٣) أبو زكريا، سير، ج1، ص89؛ وانظر: مؤنس، تاريخ المغرب، ص329.

(٤) أبو زكريا، سير، ج1، ص89.

(٥) الباروني، مختصر، ج2، ص25، ص4؛ وانظر: مؤنس، تاريخ المغرب، ص327.

(٦) الشماخي، سير، ج1، ص139–140؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ص383–384.

تاريخية بعد أن عهد النبي لأبي بكر بإمامة الصلاة، وبعد أن أوصى أبو بكر بخلافة عمر، وبعد أن حدد عمر أهل بالخلافة في ستة نفر، ثم أتى معاوية وجعل ولاية العهد لابنه يزيد، وبعد الأمويين طبق العباسيون أيضاً مبدأ الوراثة، حدث كل ذلك مع الاحتفاظ بالشكليات من حيث تطبيق مبدأ الاختيار الممثل في البيعة، ولقد انتهى الأمر باشتراط صفة القرشية في المرشح للخلافة[١].

والخوارج لم يوافقوا على مبدأ التعيين أو الوراثة، وقد طالبوا بتطبيق مبدأ الشورى أي انتخاب، والمرشح يجب أن يكون مفتوحاً أمام الجميع، وليس مقتصراً على طبقة معينة دون أي تفرقة عنصرية، حتى أجازوا إمامة العبد الأسود طالما يتمتع بالأهلية[٢].

وهذا يعني أن الأصل السياسي عند الخوارج هو تطبيق مبدأ الجمهورية التي تكون السلطة العليا فيها للشعب جميعاً دون تمييز[٣].

أما المبدأ الآخر فهو أنه لا قبيلة له إذا منعه أي تغير عن طريق الحكم، فهو شرط أساس يتنافى مع نظرية العصبية التي تقوم عليها الدولة[٤].

ومبدأ عدم استناد الإمام إلى قبيلة أو عصبية يهدف إلى دفع ما يمكن أن تتعرض له الجماعة الأباضية من الاستبداد، كما يطمح إلى تحقيق الإمامة، أو الحكومة المثالية التي يكون العدل عصبيتها.

نلاحظ ممَّا سبق ما يلي:

أولاً : أنَّ المذهب الأباضي يسمح كما ذكرت بوجود إمامين في آن واحد إذا كانت الجماعة منقسمة جغرافياً (أي إذا كان كل إمام في بلد يبعد عن بلد الإمام الآخر) أحدهما بعيد عن الآخر، ويحول بينهما عدو يخاف شره، ومن هنا فإننا نرى في كثير من الأحيان أنه كان لأباضية المغرب إمام في تاهرت وإمام في جبل نفوسة، ومع أن كل منهما لم يعترف بالآخر في كثير من الأحيان، وعلى الرغم من وقوع الحروب بينهم فإن أباضية تاهرت واباضية جبل نفوسة كان يتحدون ضد أي عدو مخالف للمذهب[٥].

ثانياً : إن الخلافات المذهبية بين الخوارج كانت ذات أثر مباشر في إضعاف جماعتهم، فإذا وقع انقسام فإن ذلك يعني انقسام القوة العسكرية، وضعف الإمامة عموماً من الناحية العسكرية، فلم تكن لدى الإمام قوة من الجند خاصة به وبأهل بيته ينفق عليها من بين المال، وإنما كان الإمام يعتمد على رجل الجماعة أنفسهم، فإذا انقسمت الجماعة في تاهرت إلى وهبية ونكارية فإن ذلك يعني أن القوة العسكرية العامة للأمة قد وهنت، وعلى الرغم من أن النكارية قد خسروا المعركة وقتل رئيسهم يزيد بن فندين فإن فرقتهم لم تتلاش، وظلت تمثل

---

(١) زغلول، تاريخ المغرب، ص384-385.

(٢) زغلول، تاريخ المغرب، ص385.

(٣) المرجع نفسه، ص385.

(٤) المرجع نفسه، ص385؛ مؤنس، تاريخ المغرب، ص325-328.

(٥) الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم،الملل والنحل، (د.مط)، بيروت، 1948م، ص67؛ وانظر: ابن أبي الضياف، أحمد، اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وأهل الأمان، تح لجنة من كتاب الدولة للشؤون الثقافية والأخبار، الدار التونسية، تونس، 1976م، ص6؛ مؤنس، تاريخ المغرب، ص 329؛ دائرة المعارف الإسلامية، م10، دار الفكر: دمشق، (د.ت)، ص93—95.

الاتجاه الأصفى بحسب المبادئ التي نادى بها الأباضية، فهم ينكرون الوراثة، وقد ظل النكارية يمثلون الاتجاه الخاص للأباضية المغربية، حتى بعد زوال الدولة الرستمية(١).

▪ موقف السكان المحليين من الدولة الرستمية:

كان من ضمن سكان المغرب الأوسط في عهد الدولة الرستمية الفئات السكانية التالية:

اعتنق البربر الأباضية والصفرية بعدما جاء دعاتهما إلى المغرب، حيث استطاعوا أن يحققوا نجاحاً باهراً في نشر دعوتيهما، ووجدوا في مبادئهما ما يطابق ميولهما، إذ أنهما جاءوا في فترة حساسة جداً، والبربر قد ضاقوا ذرعاً بحكم الولاة الأمويين وجورهم(٢).

وقد عرف المغرب عدة ثورات قبل عام 160هـ، أي قبل بناء مدينة تاهرت على يد عبد الرحمن بن رستم مؤسس الدولة، وكان أهمها الثورة الأولى سنة 122هـ، وكانت ثورة بربرية حضرية وهي ثورة البربر في المغرب، إذ خرج ميسرة المدغري، وقام على عمر بن عبد الله المرادي بطنجة فقتله، وثارت البربر كلها مع ميسرة، ثم خلف ميسرة على طنجة عبد الأعلى بن حديج وزحف إلى السوس حيث قتل اسماعيل بن عبيد الله بن الحجاب فقتله، وانتهت الثورة بمقتل ميسرة المدغري(٣).

والأباضية كانوا ينتشرون من المغرب الأدنى إلى المغرب الأوسط، ولذلك فإن قبائل نفوسة، وهوارة، ولماية، وزناتة، وسدراتة، ولواته اعتنقت الأباضية(٤).

وقد استفاد الأباضية من انقاذ القيروان من الصفرية وقائدهم عاصم بن جميل ونصب حمايتهم المؤقتة عليها، وقد ارتاح الناس في افريقية كلها، وأسلموا القيادة لأبي الخطاب وابن رستم، وتأكدت تبعية افريقية لأبي الخطاب، بعد هزيمة أبي الأحوص العجلي في مغمداس وهو الذي كلف من قبل محمد بن الأشعث عامل مصر بإقرار الأمن والنظام والأمن في افريقية(٥).

وفي سنة 144هـ انهزم الأباضية وقتل كثيرٌ من قادتهم وفرسانهم] وفي مقدمتهم أبو الخطاب إذ أن جيش أبي الخطاب قد اختلّ، وضعفت سلطته بسبب بعض النزاعات القبلية في جيشه بسبب التنازع بين قبيلتي هوارة وزناته، واتهام الأخيرة لأبي الخطاب بإثاره وميله للأولى(٦).

وكانت هزيمة سرت ذات تأثير سيئ على الأباضية، وبسبب قتل إمامهم وقائدهم الذي أكسبهم سمعة حسنة بالتزامه للحق، والعدل، ونصرته للدين، ولذلك قرر الأباضية الثأر،

---

(١) ابن الصغير، أخبار الأئمة، ص 10؛ الدرجيني، طبقات، ص 42؛ وانظر: مؤنس، تاريخ المغرب، ص330.

(٢) مؤنس، فجر الأندلس، ص144.

(٣) ابن عذاري، البيان، ج1، ص52-53.

(٤) ابن خلدون، العبر، ج 6، ص46؛ إسماعيل، الخوارج، ص 41-44؛ خليفات، عوض، نشأة الحركة الأباضية، الجامعة الأردنية، عمان، 1978م، ص136.

(٥) ابن عذاري، البيان، ج 1، ص72-73؛ الناصريّ، الاستقصا، ج 1، ص57؛ وانظر: زكار، الدولة الرستمية، ص 74-75.

(٦) ابن عذاري، البيان، ص 72؛ وانظر: زكار، الدولة الرستمية، ص 74-75.

وكانت ثورة أبي هريرة الزناتي التي أخمدها محمد بن الأشعث، والذي تتبع المخالفين سنة 146هـ في ودان وزويلة [١].

ولمّا وقعت هذه الهزيمة بالأباضية، تشتتوا في البلاد، والتجأوا إلى الجبال، يتحصنون بها، لأن ابن الأشعث لم يكتف بمعركة (تاورغا) وما آلت إليه الأباضية من ضعف، وإنما تمادى في ملاحقتهم، وقتل خلقاً كثيراً منهم[٢].

ولمّا علم عبد الرحمن بن رستم بانهزام إخوانه، ووفاة أبي الخطاب وهو في طريقه من القيروان إلى (تاورغا)[٣]، وذلك لمساعدته، وتقديم العون له ولى راجعاً، وتفرق عنه أصحابه بقابس، ودخل القيروان، فوجدها قد كفرت، إذ بايع أهلها عمر بن عثمان القرشي على أنفسهم فلم يجد إلا اتجاهاً واحداً أمامه، وهو الاتجاه نحو المغرب الأوسط أولى خطوات تأسيس الدولة الرستمية[٤].

وتشيرُ المصادر الأباضية أن عبد الرحمن لمّا خرج من القيروان اتجه إلى موضع تاهرت، حيث قبيلة لماية، فنزل عندهم لحلف قديم بينه وبينهم[٥].

إلا أنَّ البكري يقول: أن موضع تاهرت كان لقوم مستضعفين من مزاتة وصنهاجة [٦]، فعبد الرحمن بن رستم لم يقصد موضع تاهرت إلا سنة 153هـ، وبعد ذلك بأعوام، فبعد أن حوصر في جبل سوفجج حسب الروايات الأباضية خرج من الحصار منتصراً، إذ بقي هناك بين القبائل البربرية الأباضية، لقلة أخبار أصحابه في المغرب الأدنى إذ احتج عليه من أهل الفضل، والعلم، والصلاح، وارتحل إلى جهة تاهرت[٧].

ولمّا وقع حصار طبنة سنة 151هـ إذ حاصر الخوارج الصفرية والأباضية عمر بن حفص الذي ولاه المنصور على افريقية، والذي شارك فيه ابن رستم، ورجع إلى الجبل نفسه بعد هزيمته في تهودا سنة 153هـ، وفي سنة 155هـ انهزم أبو حاتم، وقتل معه جمع غفير من أصحابه قتلهم يزيد بن حاتم الذي قدم من المشرق بجيش كبير، ولم يكتف بمقتلهم بل ظلّ يلاحقهم، ولا شك أن أعداداً كبيرة التحقت بالمغرب الأوسط حيث عبد الرحمن بن رستم[٨].

ففي هذه الفترة بالذات، ولمّا كثرت الأباضية من المغربين الأدنى والأوسط، وتمركزوا في نقطة واحدة، والتقاء السكان المعتنقين للمذهب الأباضي حول شخصية عبدالرحمن بن رستم رأوا ضرورة بناء مدينة تكون مركزاً للحكم[٩].

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج5، ص151؛ ابن عذاري، البيان، ج1، ص72.

(٢) ابن عذاري، البيان، ج1، ص72–73؛ الشماخي، سير، ص132–133.

(٣) ابن خلدون، العبر، ج6، ص247.

(٤) أبو زكريا، سير، ص75؛ ابن عذاري، البيان، ج1، ص72؛ الدرجيني، طبقات، ج1، ص35.

(٥) ابن خلدون، العبر، ج 6، ص 246–250؛ وانظر: دبوز، تاريخ المغرب، ج 3، ص 253–255؛ الجعبيري، فرحات، نظام العزابة عند الأباضية الوهبية في جربة، تونس، 1975م، ص43.

(٦) البكريّ، المغرب، ص 68.

(٧) الباروني، الأزهار، ج2، ص4.

(٨) ابو زكريا، سير، ص52؛ ابن عذاري، البيان، ج1، ص79؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص42–43.

(٩) ابو زكريا، سير، ص 85–86؛ الدرجيني، طبقات، ج 1، ص41؛ الشماخي، السير، ص 139؛ وانظر: إسماعيل، الخوارج، ص256.

وقد اختار عبد الرحمن بن رستم هذا الموقع (تاهرت)، لكي يستطيع التحكم بالسكان ومنهم القبائل البدوية الصحراوية بحيث لا يمكنها من الهروب منه [١]، وأصبحت عاصمة الدولة الرستمية ملتقى الأباضية من المغرب العربي كله[٢].

وبعد مبايعة عبد الرحمن بن رستم بالإمامة، أصبحت الدولة الأباضية يستظل بها جميع القبائل المعتنقة لهذا المذهب من المغربين الأدنى والأوسط، وتعدّ الدولة الرستمية ثمرة جهود علماء المذهب الأباضي في المشرق والمغرب، وتتويجاً لثورات الأباضية ضد الولاة الأمويين والعباسيين في المغرب العربي[٣].

ثمَّ توجه غرباً ليصل (أرض نفوسة وهم قوم عجم الألسن، أباضية كلهم، له رئيس يقال له الياس، لا يخرجون عن أمره، ورئيسهم هو عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم)[٤].

إلا أنَّ ابن حوقل (ت397هـ) يقول: (فأما أهل قسطيلية، وقفصة، ونفطة، والحامة وسماطة، وبشرى، وأهل جبل نفوسة، فشراه إما أباضية، أو وهبية)[٥].

وهكذا تكون هذه المنطقة امتداداً طبيعياً يضمن الصلة بين جبل نفوسة وتاهرت[٦].

ويصور لنا اليعقوبي المغرب الأوسط بأنه منقسم إلى زعامات قبلية، ومذهبية مختلفة، فمدينة تاهرت، والتي تسمى (عراق المغرب) فإن بها قوماً من الفرس، يقال لهم بنو محمد بن أفلح بن عبد الوهاب، فهم رؤساء أباضية المغرب[٧].

أمَّا في عهد عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم (168-198هـ) إذ أن ولايته تمت بعد شهر من موت والده، ولكن المعارضين، وعلى رأسهم يزيد بن فندين أحد المرشحين الذين نازعوه في أن يكون له السلطان المطلق، وطلبوا منه ألا يبرم أمراً دون مشورة، وكان رد عبد الوهاب أنه (لا شرط للإمامة إلا الحكم بالكتاب والسنة وآثار الصالحين قبله)، ولم يقف الاختلاف الفقهي الدستوري عند المطالبة بعدم الاستبداد بالأمور، بل اتسع عندما شك المعارضون في صحة استمرار عبد الوهاب في الإمامة، بحجة عدم جواز إمامة الحاكم إذا وجد من هو أعلم منه[٨].

وكانت سياسة عبد الوهاب أو طريقته في الحكم تقوم على مبدأ إقصاء الراغبين في الولاية، وتقديم من ليست له رغبة بها من أهل الخير، وتأخير الراغبين فيها عملت على

---

(١) أبو زكريا، السير، ص 85-86؛ وانظر: دائرة المعارف الإسلامية، ج4، ص255.

(٢) ابن الصغير، سيرة الأئمة، ص 16؛ أبو زكريا، السير، ص 88؛ الدرجيني، طبقات، ج1، ص40-41؛ الشماخي، سير، ص139؛ وانظر: الباروني، الأزهار، ج2، ص101.

(٣) الكعاك، عثمان، موجز لتاريخ الجزائر من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي، مطبعة العرب، تونس، 1925م، ص81-83.

(٤) اليعقوبي، البلدان، ص 97-98. ويتفق اليعقوبي مع المصادر الأباضية في تسمية العامل الرستمي على جبل نفوسة وهو أبو منصور الياس الذي تولى شؤون الجبل منذ عهد الإمام أفلح، وتوفي في عهد الإمام أبي حاتم (281-294هـ). أنظر: أبو زكريا، سير، ص 99؛ الدرجيني، طبقات،ج1، ص84؛ وانظر: الباروني، مختصر، ص48.

(٥) ابن حوقل، صورة الأرض، ص 96؛ والوهبية التي يذكرها أباضية لا غير. أنظرك ابن الصغير، أخبار الأئمة، ص16؛ الرقيق، تاريخ المغرب، ص173.

(٦) باجية، صالح، الأباضية بالجريد في العصور الإسلامية الأولى، دار بو سلامة: تونس، تونس، 1972م، ص80.

(٧) اليعقوبي، البلدان، ص104-105؛ الكعاك، موجز، ص172.

(٨) زغلول، تاريخ المغرب، ص388-389.

اتساع الهوة بين خصومه، فزعم علماء المذهب في المشرق الذين قالوا كما قال أهل السنة وبعض المعتدلين من الشيعة، ويجوز إمامة من يوجد أعلم منه، فإن أنصار ابن فندين خرجوا من تاهرت وارتحلوا إلى الجبال والمنازل بالقرب منها، وأظهروا إنكار إمامة عبد الوهاب، ولهذا السبب أطلق عليهم اسم النكار أو النكارية كما سماهم خصومهم النكاث؛ لنكثهم بيعة الإمام، وهكذا انقسمت الأباضية إلى نكار: هم أصحاب يزيد بن فندين، والذين يعرفون بأنهم واصلية إلى معتزلة، وإلى وهبية، وهم أنصار عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم(١).

وعندما توفي الإمام عبد الوهاب سنة 198هـ/814م خلفه في الإمامة ابنه أفلح (198-247هـ) الذي اختير لصلاح أحواله، وعلمه، وشجاعته، وقد رفض أحد السكان المحليين واسمه خلف بن السمح الاعتراف به، وخرج عليه، ولم يحاربه بل اكتفى بأن كتب إلى نائبه في الناحية وهو أبو عبيدة بأن يخطفه(٢).

وهاجم خلف أبا عبيدة وأصحاب أفلح واستمرت الحرب حوالي عام، وانتهت بانهزام خلف، وانتهت الواقعة الحاسمة في جبل نفوسة بانتصار ممثل الإمام وأصحابه في 13رجب سنة 221هـ/4يوليو(تموز)836م(٣).

ورغم الانقسامات التي أصابت مدينة تاهرت منذ نشأتها إلا أنها بقيت في أسرة بني رستم، وعقب وفاة أفلح سنة 358هـ، ولي ابنه أبو بكر (258-261هـ) واختلفت الأمور كما يقول ابن عذاري وآخر من خرج من تاهرت، ثم عاد إليها، ومات فيها(٤).

وولي الإمامة بعده أخوه أبو اليقظان محمد بن أفلح إلى وفاته سنة 281هـ، وولى تاهرت بعده ابنه يوسف، فأقام في الإمامة عاماً، ثم اختلف عليه الناس، واضطرب أمره، فخرج ولجأ على حصن ولاته، ودارت بينه وبن أهل تاهرت حروب شديدة، قادها عمه يعقوب بن أفلح الذي أقام والياً أربعة أعوام ثم خلعوه، وقدم يوسف بن ابي يقظان تاهرت، واستتبت له الأمور، ولكن بعد ست سنوات قتله بنو أخيه سنة 294هـ، ثم ولي الإمامة يقظان بن أبي اليقظان وانتهى الأمر بقتله على يدي الداعية الشيعيّ مع جماعة من أهل بيته، وذلك في شوال سنة 296هـ، وانقطع ملك بني رستم من تاهرت(٥).

وفي ولاية يعقوب بن أفلح الذي حاول إصلاح ما فسد زمن سلفه في السلطة والإدارة/ ولكنه فشل، غير أن قبيلة كتامة التي يقودها الفارس عبدالله الصوفي هاجمت سنة 297هـ مدينة تاهرت واحتلتها، واضطر الإمام إلى ترك مدينتهم والتجأوا إلى واحات (وارغلا) الحاميات الطبيعية لجبل نفوسه، وفي هذه الأثناء وصل الزحف الفاطمي للمغرب(٦).

ومهما يكن من أمر، فإن الدولة العباسية كانت تحاول استغلال أي فرصة للسيطرة على افريقية والمغرب التابعة لها ودحر شوكة الدول التي تحاول الاستقلال، إذ كانت نهاية الإمامة

---

(١) الشماخي، سير، ص145؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ص389-390.

(٢) الشماخي، سير، ص183.

(٣) الشماخي، السير، ص183.

(٤) ابن عذاري، البيان، ج1، ص197.

(٥) المصدر نفسه، ج1، ص197.

(٦) المصدر نفسه، ج1، ص197.

الأباضية الثانية على أيدي العباسيين عام (280هـ/893م) بينما كانت نهاية الدولة الرستمية على يد أبي عبدالله الشيعيّ عام (296هـ/908م)[١].

والخلاصة أن الأئمة الرستميين استطاعوا بفضل بساطتهم وعلمهم، وبفضل من أحاط بهم من المخلصين أن يكتسبوا ثقة السكان المحليين من خلال الثورات التي قاموا بها أن يقيموا لهم دولة معادية للدولة العباسية، ومستقلة عنهم، إذ استمرت دولتهم ما يقارب مائة وخمسين سنة أي من 161-296هـ/761-909م [٢].

وفي عام 296هـ/909م، فتح الفاطميون افريقية، فقتل يقظان بن أبي اليقظان بن رستم مع جماعة من أهل بيته، وبذلك انهارت دولة بني رستم في تاهرت[٣].

- **موقف الدولة العباسية من الدولة الرستميـــــة:**

لما قامت الدولة العباسية سنة 132هـ استمر الأباضيون على نشاطهم الذي وجد تشجيعاً، بل ورعاية من بعض الشخصيات البارزة في الدولة الجديدة، وفي مقدمتهم عمة الخليفة المهدي وزوجها عبدالله بن الربيع الذي اعتنق المذهب الأباضي[٤].

وفي سنة 140هـ/757م بايع الأباضيون الإمام أبا الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري خارج مدينة طرابلس ثم داخل المدينة بلا حرب، وأصبحت طرابلس وافريقية تحت سيطرته[٥].

وكان أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري، من رجالات العرب، وكان على رأي الأباضية، ويحمل فكرهم، وكانت ورفجومة قد عاثت في افريقية فساداً، فامتعض من تصرفاتهم، وأعمالهم الشنيعة، وهزمهم في القيروان، وقتل عبد الملك بن أبي الجعد قائدهم سنة 141هـ[٦].

وهكذا، فقد استولى أبو الخطاب على القيروان، ورجع إلى طرابلس حيث ولي على القيروان عبد الرحمن بن رستم _أحد أبناء رستم أمير الفرس يوم القادسية_ وذهب أبو الأعلى المعافري لملاقاة جيوش الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور، التي أرادت إخراجه من افريقية[٧].

---

(١) أبو زكريا، سير الأئمة، ص 168؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص 132-133؛ ابن عذاري، البيان، ج1، ص197؛ وانظر: امبو سعيدي، عبدالله بن سعود بن حمد، عُمان في عصر الإمامة الثانية، 177-280هـ/793-893م، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف أ.د محمد عيسى صالحية، جامعة اليرموك، إربد، الأردن 1995، ص 186.

(٢) أبو زكريا، السير، ج 1، ص165-166؛ ابن الأثير، الكامل، ج 6، ص197؛ وانظر: خطاب، قادة فتح، 2002م، ص218.

(٣) أبو زكريا، السير، ج 1، ص165-166؛ ابن الأثير، الكامل، ج 6، ص197؛ وانظر: خطاب، المغرب العربي، ص218.

(٤) أبو زكريا، سير، ص31؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص123.

(٥) أبو زكريا، سير، ص31؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص123.

(٦) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص123.

(٧) أبو زكريا، سير، ج 1، ص 31؛ ابن عذاري، البيان، ج 1، ص 71؛ الناصريّ، الاسستقصا، ج 1، ص123.

وقد حدثت معركة بين قوات ابن الأشعث وأبو الخطاب، وكان أبي جعفر المنصور قد كتب إلى ابن الأشعث بالخروج إلى افريقية، ومحاربة أبو الخطاب[١].
وقد هزم ابن الأشعث أبا الخطاب في هذه المعركة، وقتله وقطع رأسه وبعث به إلى الخلافة العباسية ببغداد[٢].

ولمّا علم عبد الرحمن بن رستم بما حدث لأبي الخطاب، أخذ أهله، ولحق بأباضية المغرب، ونزل على قبيلة لماية (بطن من بطون بني فاتن بن تامصيت من البربر البتر) إذ كان حلف بينه وبينهم[٣].

وقد تبعت جيوش ابن الأشعث عبد الرحمن بن رستم الذي تحصن في جبل يقال له(سوفجج)، ولكن الجدري أصاب جيش بن الأشعث، فارتحل إلى القيروان بعد أن يئس من القبض على عبد الرحمن بن رستم[٤].

وبهذا فإن جيوش ابن الأشعث والدولة العباسية، لم تستطع القبض على عبد الرحمن بن رستم الذي يعدّ بحق مؤسس الدولة الرستمية في تاهرت، وهذا يعني أن المذهب الأباضي سينتشر في المغرب[٥].

وفي سنة 160هـ بويع عبد الرحمن بن رستم بالخلافة فتولاها، حيث كانت هناك اتصالات بينه وبين الأباضيين في البصرة لجمع الأموال لبناء تاهرت عاصمة الأباضية في المغرب[٦].

وقد قام عبد الرحمن بن رستم ببناء مدينة تاهرت حتى تكون مركزاً سياسياً لحكم بني رستم فيما بعد[٧].

وكان بناء مدينة تاهرت، وجعلها مركزاً لتجمع المذهب الأباضي، ومدينة متوارثة لحكم بني رستم هو ضربة في الصميم للدولة العباسية التي أرادت أن تكون افريقية والمغرب على مذهب أهل السنة.

وكان عبد الرحمن بن رستم على علم ودراية بأن الدولة العباسية ستقوم بملاحقة ومقاتلة أصحابه من أتباع المذهب الأباضي، ولذلك فإنه قال عندما شرع ببناء مدينة تاهرت (هذا بلد لا يفارقه سفك دم ولا حرب أبداً)[٨].

وكانت دولة بني الأغلب (حليفة الدولة العباسية) تقع على الحدود الجنوبية الغربية لدولة بني رستم[٩].

---

(١) ابن عذاري، البيان، ج 1، ص71؛ الناصريّ، الاستقصا، ج 1، ص128؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج 24، ص40.

(٢) أبو زكريا، سير، ص68–69؛ ابن عذاري، البيان، ج1، ص72.

(٣) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص128.

(٤) أبو زكريا، سير، ص77؛ وانظر: خطاب، قادة فتح، ص218.

(٥) ابن الصغير، أخبار الأئمة، ص32–33؛ أبو زكريا، سير، ص77.

(٦) ابن الصغير، أخبار الأئمة، ص32–33؛ أبو زكريا، سير، ص77.

(٧) ابن عذاري، البيان، ج1، ص196؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص128.

(٨) البكريّ، المسالك، ج2، ص736.

(٩) البكريّ، المغرب، ص68؛ الدرجيني، طبقات، ج 1، ص19؛ ابن خلدون، العبر، ج 4، ص192–193؛ وانظر: جوليان، شارل أندري، تاريخ افريقية الشمالية (تونس، الجزائر، المغرب الأقصى) من البدء إلى الفتح الإسلامي، ترجمة محمد مزالي والبشر بن سلامة، الدار التونسية، تونس، 1968م، ص39–40.

وكان العداء بين الدولة الرستمية ودولة الأغالبة ــ حليفة الدولة العباسية سياسياً ومذهبيا ــ ذلك لأن الخوارج يعدون مخالفيهم من الكفار[١].

وقد بويع عبد الرحمن بن رستم بالإمامة، وقام بكل محاولة للقضاء على الفوضى والاضطرابات في المغرب الأوسط والأدنى، وأنقذ البلاد من الثورات المتعاقبة، وطبق مبدأ العدل بين الناس[٢]، وكان عبد الرحمن بن رستم قد أرسل بعثة من تاهرت إلى قرطبة إلى بني أمية في الأندلس محاولة منه للتحالف مع أعداء العباسيين[٣].

وكان أباضية المشرق ينظرون لعبد الرحمن بن رستم وعدله ومساواته بأنه منقذهم الذي سيملك المشرق ويملؤه عدلاً[٤].

وكانوا يترقبون اليوم الذي يقتحم فيه عبد الرحمن بن رستم إمام المغرب حدود المشرق ليعلن الخلافة الإسلامية من المنظور الأباضي[٥].

وكان أباضية البصرة يرسلون الأموال إلى عبد الرحمن بن رستم لدعم الدعوة الرستمية والدولة الأباضية في المغرب الأوسط، إلا أن عبد الرحمن بن رستم رفض تلك الأموال [٦] ذلك لأن أهلها في المشرق أحوج منه إليها حتى يقاوموا بها الفقر، وتكون لهم عوناً في مواجهة الدولة العباسية وولاتها[٧]، ورفض عبد الرحمن بن رستم لتلك الأموال أكسبته ثقة الأباضية في المشرق الذين ازدادوا تعظيماً له، ووصل بهم الأمر إلى الرغبة في فرض إمامته عليهم، أي أن إمامته أصبحت فرضاً عليهم[٨].

وحقاً، فقد استطاع عبد الرحمن بن رستم قبل موته من تهيئة كل أسباب الاستقرار الاقتصادي والسياسي والمذهبي لدولته[٩].

يقول ابن الصغير:(ليس أحد ينزل من الغرباء إلا استوطن معهم ((الرستميون))، وابتنى بين أظهرهم، كما يرى من رضاء البلد وحسن سيرة إمامه وعدله في رعيته، وامانه على نفسه وماله، حتى لا ترى داراً إلا قيل هذا لفلان الكوفي، وهذه لفلان البصري، وهذه لفلان القروي، وهذا مسجد القرويين، وهذا مسجد البصريين، وهذا مسجد الكوفيين)[١٠].

ويقول ابن الصغير: (وانه لمّا وصل المال، واشتروا للقوم الكراع والسلاح وقوي الضعيف، وانتعش الفقير، وحسنت أحوالهم، وضافهم جميع من اتصل به خبرهم، وأمنوا ممن كان يغزوهم، ورأوا أنهم قادرون على غيرهم، ومن كانوا يخافون أن يغزوهم) [١١]، وهذه

---

(١) البكريّ، المغرب، ص68؛ الدرجيني، طبقات، ج1، ص19.

(٢) ابن الصغير، أخبار الأئمة، ص32؛ وانظر: المدني، توفيق، مدخل لدراسة الدولة الرستمية واسهامها في التطور الفكري والحضاري، محاضرة ألقيت في الملتقى الحادي عشر للفكر الإسلامي المنعقد في بوارجلان، مطبوعات ملتقى الفكر الإسلامي، الجزائر، الجزائر، 1977م، ص1.

(٣) ابن الصغير، أخبار الأئمة، ص32–33؛ وانظر: وفيقة، نشوء الدويلات، ص18.

(٤) ابن الصغير، أخبار الأئمة، ص10.

(٥) الكعاك، موجز، ص189.

(٦) الكعاك، موجز، ص189.

(٧) المصدر نفسه، ص15.

(٨) المصدر نفسه، ص15.

(٩) ابن الصغير، ص36.

(١٠) المصدر نفسه، ص36.

(١١) المصدر نفسه، ص36.

إشارة إلى أعداء الدولة الرستمية الأباضية ومنهم الدولة العباسية التي كانت معارضة للدولة الرستمية، ودولة مستقلة عن الدولة العباسية.

ولمّا أحس عبد الرحمن بن رستم باقتراب أجله اقتدى بعمر بن الخطاب (رض) فصمم على اختيار خليفته عن طريق انتهاج أسلوب الشورى، باختيار سبعة من أهل الثقة لاختيار واحد منهم(١).

وتم مبايعة عبد الوهاب بن رستم بعد شهرين من المشاورات، إذ تم مبايعته مبايعة عامة(٢).

وقد انقسمت الأباضية عندما خلف عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم سنة 168هـ/784-785م، فأنكر البعض أن يرث عبد الوهاب والده في الرئاسة، ولهذا السبب أطلق عليهم اسم النكار أو النكارية، بينما تمسكت الغالبية بصحة إمامة عبد الوهاب على أساس اختيار الأفضل (مجلس الحل والعقد)(٣).

وفي سنة 171هـ/787م بلغ هارون الرشيد وفاة يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة والي افريقية، فولى الرشيد اخاه روح بن حاتم، وكان أكبر من يزيد سناً. وكانت افريقية في عهده هادئة وآمنة. وقد خافه البربر، ورغب في مهادنة عبد الوهاب بن رستم لتأمين جانب الرستميين(٤).

وكان أخوه يزيد قد أكثر القتل في الخوارج بافريقيا، ولما استعمل المنصور يزيد بن حاتم على افريقيا استعمل أخاه روحاً بن حاتم على بلاد السند، فكان روح أشهر بالشرق من يزيد ويزيد أشهر بالغرب من روح، لطول مدة ولايته، ومقاتلة الخارجين عليه(٥).

وامتدت الدولة الرستمية امتداداً واسعاً من أحواز طرابلس وجبل نفوسة شرقاً إلى تلمسان غرباً وإلى أعماق الصحراء جنوباً، وأدى بها هذا الامتداد إلى أن يصير لإقليم طرابلس قدر من الاستقلال في عهد الإمام عبد الوهاب، بل أن بعض ولاته صاروا يختارون من قبل رعيتهم، وتلقبوا بالإمامة، وهو ما يجيزه المذهب الأباضي، الذي يسمح بوجود إمامين في آن واحد في مكانين متباعدين(٦).

ولما قامت دولة بني الأغلب ــ حلفاء العباسيين في القيروان ــ بدأ أمراؤها ينازعون الرستميين في أملاكهم بنفوسة، فلما استغاثت قبيلة هوارة بالإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم سنة 196هـ ضد أبي العباس عبدالله بن إبراهيم بن الأغلب، وقد زحف عبدالوهاب بحشود كبيرة من بربر نفوسه، وحاصر طرابلس، فاضطر ابن الأغلب على مهادنته على ان

---

(١) أبو زكريا، سيرة الأئمة، ص 88-89؛ الدرجيني، طبقات، ج 1، ص46؛ الشماخي، السير، ص 154؛ وانظر: كحيلة، المغرب، ص54.

(٢) ابن عذاري، البيان، ج1، ص197؛ أبو زكريا، سيرة الأئمة، ص89؛ الدرجيني، طبقات، ج1، ص46-47.

(٣) الرقيق القيرواني، تاريخ افريقية، ص 173؛ ابن الأثير، الكامل، ج 5، ص84-85؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص48.

(٤) الرقيق القيرواني، تاريخ افريقية، ص 173؛ ابن الأثير، الكامل، ج 5، ص84-85؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص48.

(٥) ابن الأثير، الكامل، ج5، ص85.

(٦) كحيلة، المغرب، ص55.

يحتفظ الأغالبة بمدينة طرابلس والساحل، بينما يضع الرستميون أيديهم على ضواحي طرابلس(١).

ومع أن حدود الدولة الرستمية كانت تتداخل مع حدود الدولة الأغالبية المتجاورة لها، ما أدى في بعض الأحيان إلى صدامات دامية، إلا أن الرستميين نجحوا في أن يخرجوا من هذه الصدامات وهم أكثر قوة ومنعة (٢).

وفي عهد عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم ازدهر المغرب، واجتمع له من أمر الأباضية مالم يجتمع للأباضية قبله، وكثرت جيوشه، وكلمة الناس واحدة في عهده، لا خارج ولا معارض له، ولا ثائر عليه(٣).

وبعد وفاة عبد الوهاب بن عبدالرحمن بن رستم سنة 188هـ، تولى الإمامة بعده أفلح بن عبد الوهاب(٤).

وكان أفلح قد دربه والده عبد الوهاب على أن يكون خليفته، وذلك عندما انتقل عبد الوهاب إلى جبل نفوسة وأقام به سبع سنوات، وكان يقصد عبد الوهاب الذهاب إلى الحج، إلا أن أهل نفوسة منعوه من ذلك خوفاً عليه من العباسيين، إذ قالوا له: (يا أمير المؤمنين لسنا ندعك مخافة عليك من المسوّدة (العباسيين) أن يأخذوك ويحبسوك فتعطل أمور المسلمين وحدود الله وأحكامه(٥).

ولم يترك عبد الوهاب مدينة تاهرت إلا بعد أن أمن عليها ابنه أفلح، الذي تأكد فعلاً أنه قادر على حمايتها، وعلاوة على ذلك فإنه قد أظهر في إحدى المعارك البلاء الحسن، والقدرة والخبرة العاليتين والمهارة الفائقة(٦).

وكان الإمام عبد الوهاب قد أرسل إلى أهل الدعوة في المشرق يستفتيهم في مسألة الذهاب إلى الحج أو الإقامة في جبل نفوسة، وقد وصلت الكتب إلى أهل الدعوة في المشرق وعلى رأسهم الربيع بن حبيب، وابن عباد إذ أجابه الربيع (من كان مثلك في العناء في أمور المسلمين، وتحمل أمانتهم وخاف على نفسه من المسودة (العباسيين) أن يبعث وهو حي) وقال ابن عباد: (من كان على هذه الصفة المذكورة من العناء في أمور المسلمين فليس عليه حج لأن أمان الطريق من الشروط التي يجب بها الحج على من استطاعه)(٧).

وكان أمراء الدولة الرستمية يخافون على أنفسهم من فتك الدولة العباسية بهم، لأنهم كانوا يسعون إلى الاستقلال بأمور دولتهم، ذلك لأن الدولة العباسية وباستمرار كانت ترسل العيون وتستطلع أخبار الدولة الرستمية من خلال حلفائهم في افريقية وهم الأغالبة الذين كانوا على درجة عالية من الولاء والارتباط بالدولة العباسية.

---

(١) ابن الصغير، أخبار الأئمة، ص 45؛ ابن الأثير، الكامل، ج 5، ص 157؛ ابن خلدون العبر، ج 4، ص421؛ الباروني، الأزهار، ص145.

(٢) كحيلة، المغرب، ص55.

(٣) ابن الصغير، أخبار الأئمة، ص45.

(٤) ابن عذاري، البيان، ج1، ص197.

(٥) أبو زكريا، السير، ص116؛ وانظر: بحاز، الدولة الرستمية، ص118.

(٦) ابن الصغير، أخبار الأئمة، ص55.

(٧) أبو زكريا، سير، ص116.

وكان عبد الوهاب بن عبد الرحمن عندما حاصر وجموعه طرابلس، كان بينه وبين أهل طرابلس قتال شديد، كان إذا قيل له انهزم (المسلمون) انقبض وجهه وتعبس، وإذا قالوا انهزمت (المسودة) أي العباسيين انشرح وجهه وتبسم(١).

وإن دلّ ذلك على شيء فإنما يدل على مدى العداء المستحكم بين الدولة الرستمية المستقلة والدولة العباسية، سار الإمام أفلح بن عبد الوهاب على نهج والده في سياسته وبخاصة مع مناوئيه من الأباضية وأعدائه العباسيين(٢).

والأدلّ على ذلك أن خلف بن السمح أحد الأباضيين استنكر ولاية أفلح عبد الوهاب، فاستشار أبا عبيدة بن عبد الحميد _وهو أحد رجال الإمام أفلح_ بواجب الدفاع، فأمره أفلح باستخدام اللطف واللين، إذ أن خلف بن السمح قد أقام في موضع يقال له (تيمتي)، فكان خلف بن السمح يقوم بالغارات المتواصلة على رجال الإمام أفلح، ويسفك الدماء، ويسلب الأموال(٣).

وكان أبو عبيدة لا يحبذ إراقة الدماء بين أتباع المذهب الأباضي ولكنه قال: (ما أعظم إراقة الدماء أم الترك للقيام بدين الله تعالى)، فقال له أحدهم: (إراقة الدماء أعظم، فقال لهما أبو عبيدة: لو كان الأمر على إراقة الدماء لافترق أصحاب النهر وغيرهم، ولأذعنوا بطاعة الظلمة المسودة (العباسيين))(٤).

أي أن الأمر أعظم من إراقة الدماء، وأعظم بكثير من إطاعة العباسيين الذين وصفهم بالظلمة والمستبدين، لأن الأمر يتعلق بمستقبل دولة كاملة بكل ما فيها من أرض حاكم ومحكوم.

وعندما بنى الأغالبة ــ حلفاء العباسيين ــ مدينة لهم بالقرب من تاهرت سنة 239هـ، واطلقوا عليها اسم العباسية، تيمناً بالخلافة العباسية، قام الإمام أفلح بن عبد الوهاب بعد أن كمل بناؤها بتدمير العباسية عن بكرة أبيها، وأخبر الأمويين في الأندلس بذلك، وقد كافأ الأمويون الإمام أفلح بإرسال مائة ألف درهم تقديراً لجهوده في مواجهة عدوهم المشترك(٥).

وكان من الطبيعي أن يقوم الأمويون بمكافأة الدولة الرستمية على ما قاموا به من حرق للعباسية ذلك لاتحادهم في مواجهة عدوهم العباسيين وحلفائهم بني الأغلب.

وفي سنة 258هـ توفي الإمام أفلح بن عبد الوهاب، وترك الدولة لابنه أبي بكر بن أفلح بن عبد الوهاب(٦).

وفي عهد أبي بكر بن أفلح قامت فتنة ابن عرقه، ذلك أنه قبل أن يتوفى الإمام أفلح قدّم ابنه أبا بكر للناس ليكون إمامهم، وكان في تاهرت رجل يعرف بمحمد بن عرفه، وكان ذا ثروة طائلة وكانت زوجة الإمام أبي بكر بن أفلح وهي أخت محمد بن عرفه، وكان الحاكم الفعلي للدولة الرستمية هو محمد بن عرفة، إذ كانت الإمامة رسمياً لأبي بكر بن أفلح وفعلياً

---

(١) أبو زكريا، سير، ص116.
(٢) أبو زكريا، سير، ص129-130؛ وانظر: الباروني، الأزهار، ج2، ص277.
(٣) أبو زكريا، سير، ص129.
(٤) المصدر نفسه، ص130-132.
(٥) ابن خلدون، العبر، ج4، ص429.
(٦) ابن عذاري، البيان، ج1، ص197.

لابن عرفه[١]، وهذا يعني أن محمد بن عرفة سيستغل نسبه من الإمام أبي بكر، وسيتصرف بالدولة كما يشاء، فكل شيء في الدولة أصبح الآن بين يديه.

وكان أبو اليقظان أخو الإمام أبي بكر بن أفلح غائباً في أرض المشرق إذ أن العباسيين قد قبضوا عليه في الحج، فأخذوه وحبسوه، ثم أطلقوا سراحه، فتوجه إلى تاهرت[٢].

وعندما تأكد أبو بكر بن أفلح من أن ابن عرفه لا يريد الخير له ولدولته، أوجس منه خيفة، وقام أبو اليقظان بتحريض أخيه ابي بكر على قتل محمد بن عرفه، وفعلاً قام أبو بكر خفية ودون علم العامة بقتل محمد بن عرفة[٣].

وكان أهل تاهرت قد أخرجوا أبا بكر بن أفلح بن عبد الوهاب، ثم أعادوه إليها، وتوفي في تاهرت سنة 241هــ/855م[٤].

وتولى الإمامة بعد أبي بكر بن أفلح أخوه أبو اليقظان محمد بن أفلح (241-281هــ/855-894م) وكانت مدة ولايته سبعاً وعشرين سنة[٥].

وكانت الدولة العباسية قد أغدقت المال على أبي اليقظان عندما كان مسجوناً في سجون بغداد إذ قدم إلى تاهرت ومعه المال، فصارت الدعوة والإمامة كلها لأبي اليقظان، فتوافدت عليه الأباضية من كافة الأقطار[٦].

ويبدو أن الدولة العباسية كانت تسعى من وراء إغداق الأموال على أبي اليقظان أن يكون حليفاً لها، وأن تكون الدولة الرستمية مستقبلاً تابعة، ولو اسمياً، للدولة العباسية، وأن يكون أبو اليقظان على اتصال مباشر بالدولة العباسية كما كانت دولة الأغالبة.

إلا أن أبا اليقظان كان يعي ما يقوم به، ويعي ما تفكر به الدولة العباسية، الأمر الذي جعله يقيم علاقات الود والصداقة مع أعداء الدولة العباسية وهم أمويو الأندلس.

وفي عهد ابو اليقظان محمد بن أفلح، دامت علاقات الود والصداقة والتواصل بين تاهرت وقرطبة وكان أبو اليقظان يستشير محمد بن عبد الرحمن (الأوسط) 238-273هــ وبني مدرار في سجلماسة[٧].

وقد تعرض الأباضيون إلى ضربة قوية على يد الأمير إبراهيم بن أحمد بن الأغلب _حليف الدولة العباسية_ وذلك عند خروجه لقتال ابن عمه محمد بن زيادة الله بن الأغلب،

(١) ابن الصغير، أخبار الأئمة، ص71-72.

(٢) ابن الصغير، أخبار الأئمة، ص72-73؛ أبو زكريا، سير، ص142-143.

(٣) ابن الصغير، أخبار الأئمة، ص78.

(٤) ابن عذاري، البيان، ج1، ص197؛ أبو زكريا، سير، ص143.

(٥) ابن عذاري، البيان، ج1، ص197؛ ابن الصغير، أخبار الأئمة، ص85.

(٦) ابن الصغير، أخبار الأئمة، ص85.

(٧) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص24.

وقد خرج إبراهيم من رقادة ومعه قوة عسكرية كبيرة، وكان من الطبيعي أن يمر من جبل نفوسة(*)(١).

وفي عهد أبو اليقظان محمد بن أفلح وبالتحديد في سنة 267هـ/876م، خرج العباس أحمد بن طولون _والي مصر من قبل العباسيين_ يريد غزو القيروان والاستقلال بحكمها عن أبيه وعن الخلافة العباسية، إذ قام بالاستيلاء على الكثير من الأموال، وحشد أعداداً كبيرة من الجند لهذا الغرض(٢).

وقد كتب العباس أحمد بن طولون إلى إبراهيم بن أحمد الأغلب يخبره أنه كتب للمعتمد الخليفة العباسي(*) يخبره بتولي حكم افريقية، ويأمره بإقامة الدعوة له، وانتهى أمره إلى حصن يعرف بلبدة(*)، ففتحه أهل له، وأطلق العباس لأصحابه نهب الحصن، وقتلوا الرجال وفضحوا النساء أو ذاع الخبر، واستغاث أهل حصن لبدة بإلياس بن منصور النفوسي رئيس الأباضية(٣).

فغضب إلياس بن منصور غضباً شديداً على تلك التصرفات الرعناء، وكان العباس قد كتب إلى إلياس بن منصور النفوسي بضرورة طاعة إلياس له، وإلا سيقوم العباس بمهاجمة لبدة، الأمر الذي دفع إلياس بن منصور إلى التوجه نحو طرابلس، وفك حصارها، وقتل الكثير من جنود إلياس، وهزمهم، وبذلك فإن إلياس بن منصور قد قدم للأغالبة مساعدة كبيرة(٤).

وقد احتدم القتال بين الأغالبة ــ حلفاء بني العباس ــ والرستميين، الأمر الذي أدى إلى أن حلت الكارثة بالقبائل، فانقصم ظهر الأباضيين في معركة مانو سنة 283هـ/ 896م،

(*) جبل نفوسة: جبل في المغرب بعد افريقية. وفي هذا الجبل مدينتين وهما: سروس في وسط الجبل وجادو من ناحية منطقة نفزاوة وجميع أهل هذا الجبل هم أباضية (شراة ووهبية) وهم متمردون عن طاعة السلاطين، وبين جبل نفوسة وطرابلس مسيرة ثلاثة أيام وبينه وبين القيروان ستة أيام، وعندما فتح عمرو بن العاص جبل نفوسة كان أهله من النصارى. أنظر: مجهول، الاستبصار، ص144-145؛ ياقوت، معجم البلدان، ج5، ص296-297.

(١) الدرجيني، طبقات، ج 1، ص87؛ وانظر: دبوز، تاريخ المغرب، ج 3، ص352؛ إسماعيل، محمود، الأغالبة وسياستهم الخارجية، فاس، المغرب، 1978م، ص56.

(٢) ابن سعيد، علي بن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، تح زكي محمد حسن وآخرون، جامعة فؤاد الأول، القاهرة، 1953م، ج1ي، ص120. وسيشار إليه فيما بعد: ابن سعيد، المغرب؛ وانظر: بحاز، الدولة الرستمية، ص125.

(*) المعتمد: المعتمد على الله الخليفة العباسي، وقيل أبو جعفر وهو أحمد بن المتوكل على الله بن المعتصم بن الرشيد ولد سنة 229هـ وأمه رومية واسمها فتان، توفي سنة 279هـ ، وقيل أنه سمّ وخلافته دامت ثلاث وعشرين سنة، وممن مات في أيامه الإمام البخاري، والإمام مسلم والإمام أبو داود والترمذي وابن ماجة. أنظر: السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص340-341.

(*) لبدة: مدينة بين برقة وطرابلس، وقيل بين طرابلس وجبل نفوسة وهي مدينة على البحر المتوسط شرقي طرابلس.أنظر: ياقوت، معجم البلدان، ج5، ص10.

(٣) ابن سعيد، المغرب، ج1، ص120.

(٤) المصدر نفسه، ص123؛ وانظر: بحاز، الدولة الرستمية، ص125-126.

وكانت تلك المعركة سبباً في سقوط الدولة الرستمية [١]، إذ تقدم إبراهيم بن أحمد الأغلبي بعد ذلك إلى طرابلس، وقتل ابن عمه محمد بن زيادة الله[٢].

وكان إبراهيم بن أحمد معروفاً عنه سفك الدماء، وعلى النقيض من محمد بن زيادة الله الذي كان يتصف بالأدب وحسن التصرف والظرافة، إذ كان لمحمد بن زيادة الله عدة مؤلفات، منها: (راحة القلب) و(الزهد) و(تاريخ بني الأغلب)[٣].

وفي رواية أبي اسحق الرقيق التي يذكرها ابن الآبار في (الحلة السيراء) أن بكر بن حماد التاهرتي الأباضي كان ينعت إبراهيم بن أحمد بالطاغية، والفاسق، لأنه كان مشغولاً عن رعيته وكان يحب النساء والجواري، ولا يستطيع أحد الوصول إليه، ومن أفعاله أنه منع النبيذ في القيروان، وسمح به في رقادة[٤].

كان أباضية جبل نفوسة قد أيدت سلطة الرستميين، وكان الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن قد قال فيهم: (إنما قام هذا الدين بسيوف نفوسة، وأموال مزاته)، وقد اتصلت أباضية جبل نفوسة بالأئمة الذين عاشوا مع العباسيين، وكان ذلك على عهد المتوكل (ثاني الخلفاء العباسيين)[٥].

فلما تداركت الكتب إلى الخليفة العباسي المتوكل أنفذ إلى المغرب عسكراً، وجعل إبراهيم ابن أحمد بن الأغلب، فسار إبراهيم بعسكره نحو المغرب، فلما قرّب من طرابلس سمعت بخبره نفوسة وعزموا ألاّ يتركوه، لأنه يريد الوصول إلى تاهرت[٦].

فلمّا رأى إبراهيم تصميم أباضية جبل نفوسة على ذلك أراد قتالهم، وتهيأ لذلك إذ قال لأصحابه: (خذوا عدتكم، وشمّروا على أنفسكم، وجاوزوا البحر، ولا تتعرضوا لهؤلاء القوم (أباضية جبل نفوسة)، فإنهم تركونا وطريقنا، وإلا ناصبناهم (أي استعددنا لقتالهم) [٧]، لكن أباضية جبل نفوسة قتلوه في معركة مانو [٨]، فطلب رجل من العباسيين المبارزة فخرج أفلح بن العباس، ولكن أصحابه رفضوا مبارزته، ولكن أفلح بارز الرجل العباسي وقتله[٩].

وكان أفلح بن العباس قد كره لقاء إبراهيم بن أحمد الأغلبي (الفاسق) كما يسميه الأباضية[١٠].

وكان عدد قتلى جبل نفوسة اثنتي عشر ألفاً، أربعة آلاف من نفوسة، وثمانية ممن كان معهم من البربر، وغيرهم، وفيهم أربعمائة عالم وفقيه[١١].

---

(١) بحاز، الدولة الرستمية، ص138.

(٢) مجهول، العيون والحدائق في أخبار الحقائق، تح عمر السعيدي، (د.مط)، دمشق، 1972م، ج4، ق1، ص85-86. وسيشار إليه فيما بعد: مجهول، العيون.

(٣) ابن الآبار، الحلة السيراء، ج1، ص180؛ مجهول، العيون، ج4، ص86.

(٤) ابن الآبار، الحلة السيراء، ج1، ص 172-173.

(٥) ابو زكريا، سير، ص150.

(٦) ابو زكريا، سير، ص151؛ وانظر: إسماعيل، الأغالبة، ص56.

(٧) ابو زكريا، سير، ص152.

(٨) ابو زكريا، سير، ص152.

(٩) المصدر نفسه، ص152.

(١٠) ابو زكريا، سير، ص152.

(١١) ابو زكريا، سير، ص152.

وعند فرغ إبراهيم بن أحمد الأغلبي من قتال أباضية جبل نفوسة ذكر له أن منطقة قنطرارة (وكان واليها سعد بن وسيم النفوسي)، وكان بها بقية من الأباضية، فاتجه نحوه حيث أتاهم بغتة فنزل عليهم بعد طلوع الفجر فقتلهم، واختار من علمائهم ثمانين عالماً، فأوثقهم وعذبهم[١]، وقام إبراهيم بن الأغلب باصطحاب الثمانين عالماً معه إلى مدينة القيروان، ثم قام بقتلهم بعد أن هرب أحد العلماء منهم ويدعى ابن يثوب[٢].

وفي سنة 281هـ/894م توفي محمد بن أفلح، وتولى الأمر بعده أخيه أبي حاتم يوسف بن أبي اليقظان، فأقام فيها عاماً واختلف عليه الناس، واضطرب أمره، فخرج إلى حصن لواته، وقامت بينه وبين أهل تاهرت حروب عظيمة[٣].

ثم تولى يعقوب بن أفلح بن عبد الوهاب فقام والياً أربعة أعوام، ثم خلع وتولى بعده أبا حاتم بن أبي اليقظان إذ بقي في الحكم ستة أعوام، إذ قتله بنو أخيه سنة 294هـ، ثم تولى يقظان بن أبي اليقظان فقتله أبو عبد الله الشيعيّ سنة 296هـ، وبذلك سقطت الدولة الرستمية وانقطع خبرها في هذا التاريخ[٤].

وبهذا يكون إبراهيم بن أحمد الأغلبي (حليف الدولة العباسية وممثلها في المغرب) قد وجه ضربة قوية ذات صدىً كبير للأباضيين بقيادة ابن عمه عبدالله سنة 284هـ/ 897م، وقد أسر منهم أكثر من ثلاثمائة رجل، وعاد بهم إلى تونس[٥].

ومهما يكن من أمر، فإن علاقة الدولة العباسية بالدولة الرستمية وموقفها من الدولة الرستمية كان يتصف بالسلبية، والعدائية، وعدم قبول، ورفض وجود دولة أباضية رستمية، وقد كانت الدولة الأغلبية في افريقية (القيروان) تقوم بدور الدولة العباسية في المغرب وافريقية ومضايقة الدولة الرستمية وذلك لاختلاف المذهب والولاء، إلا أن الدولة الرستمية كان همها الوحيد ومنذ تأسيسها هو تنظيم الدولة الرستمية على مبادئ الأباضية والاستقلال التام عن الدولة العباسية.

هكذا فإن الدولةالرستمية كانت دولة مستقلة عن الدولة العباسية على يد البربر الذين كانوا يناهضون الخلافة العباسية.

وقد استمرَّت الدولة الرستمية طوال فترة وجودها وهي تحاول تنظيم دولة استقلالية عن جسم الدولة العباسية بمبادئها الأباضية، واستمرت أكثر من أربعة عشر عقداً، وكانت نهايتها على يد الفاطميين عندما سار أبوعبدالله الشيعيّ إلى سجلماسة لمحاربة إليسع بن مدرار وتخليص محمد المهدي وابنه من السجن أثناء سيره إلى تاهرت عاصمة الرستميين، فدخلها بالأمان، وقتل من بها من الرستميين من بينهم يقظان بن أبي اليقظان (294-296هـ/906-909م) وجماعته من أهل بيته، وبعث برؤوسهم إلى القيروان/ ونصبت على باب رقادة، وهكذا انقضت وانتهت الدول الرستمية في تاهرت[٦].

---

(١) ابو زكريا، سير، ص152.

(٢) المصدر نفسه، ص156.

(٣) أبو زكريا، سير، ص145؛ ابن عذاري، البيان، ج1، ص197.

(٤) أبو زكريا، سير، ص164؛ ابن عذاري، البيان، ج1، ص197.

(٥) ابن عذاري، البيان، ج 1، ص 130؛ وانظر: إسماعيل، الأغالبة، ص 111؛ إسماعيل، الخوارج، ص145؛ الطالبي، محمد، الدولة الأغلبية، التاريخ السياسي 184-296هـ / 800-909م، تعريب المنجي الصيادي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995م، ص328.

(٦) وفيقة، نشوء الدويلات، ص38.